العزم في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعـــداد

الدكتور منظور بن محمد محمد رمضان

أستاذ مشارك بقسم الدراسات القرآنية

بكلية المعلمين بمكة المكرمة

ملخص البحث

يلاحظ من خلال واقع حياة المسلمين العملية، قصور في أداء الواجبات فضلا عن المستحبات، وهذا يدل على وجود خلل في الهمم، سواء من حيث التطلع إلى طلب المعالي، أو بمسابقة الأخيار في الخيرات، ولعل ذلك راجع إلى تفاوت عزيمة الأنفس ومقدار صبرها وصرامتها على تحمل مشاق إنجاز المهمات، وقد قيل: من علت همته طال همه، ويعد العزم لكونه من أرقى الأخلاق أساس الانطلاق والنشاط والاندفاع إلى تحقيق مصالح الدين والدنيا، وقاعدة الطموح والتطلع إلى الأعلى، وإذا كان مقرونا بالعلم والعقل والحكمة، كانت التصرفات مع الأوامر والنواهي حكيمة نافعة، وحين تكون العزيمة ضعيفة أو مجردة عن العلم والعقل والحكمة، فإن التصرفات تتبعها في النتائج، فما غفلت النفوس عن مراقبة الله واسترسلت وراء مطامعها، واستصغرت القيم وسمو النفوس، واسترخصت حياة العز والإباءة، وما قتل طموح الشباب وهممهم إلا ذوبان العزم إن لم يكن معدوما، وما توانى أهل الدعوة إلا بسبب فتور العزم، وكان من أعظم انقطاع الشيوخ عن مواصلة سير رحلة الطاعة فيما تبقى من العمر ضعف العزم، وما اكتفى الموهنون من طلب المزيد من خيري الدنيا والآخرة إلا بسبب سوء نظرهم إلى العزم.

مقدمـــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فالواجب على المسلم من منطلق توجيهات الإسلام بذل جهده للوصـول إلى ذروة التمام والكمال لا سيما في الأمور الشرعية، أو في مجالة حياة الدارين بصفة عامة، اقتداء برسل الله الذين أخبر عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (الأنبياء:٩٠) ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون:٦١) وإلى هذا وجه القرآن الكريم منذ نزوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (آل عمران:١٣٣) ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الحديد:٢١) ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة:١٤٨) ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة:٤٨) وهذا يتطلب قوة دافعة نامية لتتضاعف قوة المرء، وعزيمة صادقة صارمة لتكتسب حياته الجد والصدق والإقدام والانتظام، فتدفعه إلى التطلع والطموح إلى شموخ العز والكرامة، قال ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على مـا ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) [١]

وحين يكون السير في الدنيا خاليا من العزيمة والجد ومن الهدف، فسبيله الضياع قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء:٧٢) ويصنف العبد في قائمة المتأخرين: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (العنكبوت:٣٩) وحذر الله من عواقب الضياع والفتور والوهن فضرب لنا مثلا بأبينا آدم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (طـه:١١٥).فكـم في عصرنا من ضيع العزم وفقد الحزم، ففقد المضي قُدماً، فقعد ملوما محسورا، فكانت حياته لهـواً ولعباً وزينة وتفاخراً زائفاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران:٢٢) وتشتد الحاجة في عصرنا الحاضر إلى شحذ الهمم وتقويـة العـزائم ودفـع الإرادات، ببيان أهمية العزيمة وضرورته في نجاح الإنسان في حياته العلمية والعملية في الدارين.

خطة البحث:

تتألف خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وثمانية مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أتحدث عن أهمية الموضوع وخطة البحث فيه

التمهيد: التعريف بالتفسير الموضوعي ومنهج البحث فيه، وأهميته

الفصل الأول: حقيقة العزم في اللغة والقرآن الكريم، وفيه مباحث: المبحث الأول: مورد كلمة العزم في القرآن الكريم، المبحث الثاني: معنى العزم في اللغة والشرع، المبحث الثالث: الفرق بين العزم والألفاظ القريبة الدلالة منه.

الفصل الثاني: مظاهر حديث القرآن الكريم عن العزم: أولا: العزم بين الإيلاء والطلاق، ثانيا: العزم على مجانبة الخطبة أثناء العدة، ثالثا: العزم على التوكل بعد الشورى، رابعا: الثناء على آدم ﷺ بترك العزم على المعصية، خامسا: أمر النبي ﷺ بالاقتداء بأولي العزم من الرسل، سادسا: العزم على فعل الطاعات، سابعا: العزم على الصبر على البلاء وتقوى الله عز وجل، ثامنا: العزم على الصدق مع الله.

الفصل الثالث: خلق العزم بين القوة والضعف وتطبيقاته على السلف: المبحث الأول: عوامل انهيار خلق العزم، المبحث الثاني: عوامل تقوية خلق العزم، المبحث الثالث: تطبيقات خلق العزم على السلف، المبحث الرابع: أهمية خلق العزم ومظاهره، المبحث الخامس: آثار العزم وفوائده، خاتمة، فهرس المراجع، والموضوعات.

عنوان البحث: (العزم في القرآن الكريم)

أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث وثمرته من حيث استمداده وموضوعه، ومن حيث صلته بالمجتمع وحاجته إليه ومدى تحقيقه للأهداف والنتائج المرجوة من ورائه، وإنّ موضوع: (العزم في القرآن الكريم) من أهم الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إليها؛ لاتصاله بكتاب الله مصدر هداية ورحمة وسعادة المرء في الدارين، لما في ذلك من تدبر كلام الله، وربط الناس

بواقع حياتهم العلمية والعملية، حيث يلاحظ في حياة المسلمين العملية قصورا في تطبيق أخلاق القرآن الكريم، إما غفلة أو استهتارا، وهذا يحتاج إلى العزم المقرون بالعلم والعقل والحكمة، ليتعامل المسلم مع هذه الأوامر والنواهي على مقتضى حكمة الله تعالى، وإنّ معرفة مفهوم "العزم" وأهدافه وأغراضه مما يعين على التحلي بهذا الخلق العظيم الذي دعا إلى التحلي به ربنا تعالى، حيث أمر به أمر رسوله محمدا ﷺ فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف ٣٥) لكونه أساس الانطلاق إلى تحقيق مصالح الدارين، وقاعدة الطموح والتطلع إلى الأعلى، ومن أرقى الأخلاق كعلو الهمة وقوة الإرادة، والرجولة والمروءة، والشهامة والنبل تلك الأخلاق التي يجب أن يتحلى به المؤمن، وإذا اقترنت قوة العزيمة بالعلم والعقل والحكمة، كانت التصرفات حكيمة نافعة.

وحين تكون العزيمة ضعيفة أو مجردة عن العلم والعقل والحكمة، فإن التصرفات تتبعها في النتائج، فما قتل طموح الشباب وهممهم إلا ذوبان العزم إن لم يكن معدوما، وما تواني أهل الدعوة إلا بسبب فتور العزم، وكان من أعظم أسباب انقطاع الشيوخ عن مواصلة سير رحلة الطاعة فيما تبقى من العمر ضعف العزم، وما اكتفى الموهنون من طلب المزيد من خيري الدنيا والآخرة إلا بسبب فقد خلق العزم، فما أحوجنا اليوم إلى إيقاظ النفوس من غفلتها، وما أحوجنا إلى صقل القلوب وتصحيح مسارها، ومن ثَم فإن للموضوع أهمية كبرى وحاجة ملحة ماسة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالي:

١- توضيح معنى "العزم" وتوضيح نظرة الإسلام له، وإيصاله إلى مسامع الناس بوضوح ليسهل عليهم فهمه وإدراكه.

٢- أهمية خلق العزم وضرورته في حياة المسلم العملية لا سيما في عصرنا الذي أجهزَ فيه على العزائم

٣- تأصيل البحث بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة، وما أحوجنا اليوم إلى البحوث المؤصلة بمصادر التشريع.

٤- استشعار المسئولية وتحقيق مبدأ النصيحة التي يقوم عليها أساس جلب الخير ودفع الشر، والتواصي بالحق وبالصبر امتثالا لقوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ **(العصر ١-٣)**. **ولقول ﷺ: (الدين النصيحة) قيل: لمن يا رسول الله ؟، قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** [٢]

اهتمام القرآن الكريم بخلق العزم:

من مظاهر اهتمام القرآن الكريم بهذا الخلق النبيل، اهتمامه بركائز إنماء العزيمة، ومن ذلك:

اهتمامه بالدعوة إلى العزم تجاه الابتلاء، للثبات على الحق وعلى الأفعال الحسنة، وتوطين النفس على احتماله والاستعداد للقائه عند وقوعه بحسن الصبر والثبات، للفوز بتقوى الله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ **(آل عمران:١٨٦)**

اهتمامه بالحث على العزم لتحمل ما يلحق في ذات الله من أذى لتكميل النفس: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ **(لقمان:١٧)**

اهتمامه بتقوية العزم لهضم الذات، ومغالبة شهوات النفس ووساوسها، والدوافع النفسية ونوازعها لئلا تميل بها: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ **(الشورى:٤٣)**

٤- اهتمامه بالتحريض على العزم لتخطي معوقات الدعوة لمواصلة السير قدماً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ (الأحقاف:٣٥)

٥- اهتمامه بالترغيب في العزم على الثبات على حسن الإسلام بمصادقة القول بالواقع: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد:٢١)

٦- اهتمامه بشد العزم على مغالبة وساوس الشيطان وهواجس النفس وتطلعاتها المردية: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه:١١٥).

مورد كلمة العزم في القرآن الكريم

وردت مادة العزم في القرآن الكريم تسعة مرات، ستة مرات منها بصيغة الاسم وهي:

١- قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران:١٨٦)

٢- قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧)

٣- قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣)

٤- قال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد:٢١)

٥- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ (الأحقاف:٣٥)

٦- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (طـه:١١٥)

ثلاثة مرات بصيغة الفعل وهي:

١- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩)

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٢٧)

٣- قال تعالى: ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ (البقرة:٢٣٥)

التمهيد:

التعريف بالتفسير الموضوعي:

أولا تعريف التفسير: تفعيل مبالغة من الفَسر، وهو الكشف والبيان والإيضاح و إظهار المعنى المعقول قال تعالى: ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ (الفرقان:٣٣)[٣]

وقيل هو من التسفير مقلوب "سَفَرَ" وهو الكشف والبيان: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ (المدثر:٣٤) يقال: سفرت المرأة سفورا إذا ألقت خمارها عن وجهها، والفسر والسفر متقاربان لفظا ومعنى، غير أن الفسر لإظهار المعنى المعقول، والسفر لإبراز الأعيان للأبصار [٤]

وفي الاصطلاح: علم يكشف به عن معاني آيات القرآن الكريم وبيان مراد الله منها حسب الطاقة البشرية [٥].

ثانيا: تعريف الموضوع: وهو في اللغة:من الوَضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى: الحَط أو الخفض، أو بمعنى: الإلقاء والتثبيت في المكان، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأنبياء:٤٧) يقال: ناقة واضعة إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح [٦].وهذا هو المعنى الملحوظ في التفسير الموضوعي، لأن المفسر يرتبط بمعنى مَعَين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من بيانه وتفسيره الذي التزم به، وهذا بخلاف "التفسير التحليلي" الذي يرتبط بترتيب المصحف في تفسير الآيات، من ذكر ما يتعلق من المعاني والأغراض في الآيات دون التقيد بموضوعها، فلا يتجاوز آية حتى يعطيها حقها من التفسير والشرح والبيان، سواء كان ذلك تفسيريا أو لغويا أو بلاغيا أو حكما [٧]

وفي الاصطلاح: قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة أو السلوك الاجتماعي، أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم [٨].

ثالثا: تعريفه بعد نقله إلى العَلَمية، فقد تعددت تعاريف الباحثين، ومن أجمعها:

١- جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما [٩] وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

٢- بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

٣- علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر [١٠].

فالتفسير الموضوعي: هو الذي تجمع فيه قضايا القرآن الكريم، وتفسر على أساس الموضوع الواحد مقتصرا عليه، وتدونُ في بحث مفرد منحصر في موضوعه.

منهج البحث في التفسير الموضوعي: يرتكز منهج البحث فيه على أمرين رئيسين:

أ- أصول منهج البحث في التفسير الموضوعي

أولا:- إدراك مفهوم التفسير الموضوعي، وورود اسم الموضوع في القرآن الكريم صراحة أو معنى، فلا يصح أن يبحث في موضوع: (العدل في القرآن) ويراد به الاشتراكية.

ثانيا: ترتيب الآيات حسب نزولها أو حسب طبيعة الموضوع، وتأليف عناصرها تصريحا أو تلميحا من لفظ الموضوع ومن نقيضه، كـ(التوحيد) وضده (الشرك)، إما بالحفظ أو بالمصحف، أو بالكتب ذات العلاقة بجمع الآيات القرآنية وترتيبها، مثل:

أ- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

ب- معجم ألفاظ القرآن الكريم، إصدار مجمع اللغة العربية.

جـ- المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته، لمحمد فارس بركات.

د- مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني.

فإن لم يتيسر ذلك ترتب حسب ورودها في المصحف، مع مراعاة طبيعة كل مرحلة، ويفتح الله تعالى أثناء البحث بأشياء تأتي تباعا لها صلة بالموضوع.(١١).

ثالثا: استنباط العناوين من الآيات، والالتزام بالبحث العلمي بتقسيم الموضوع إلى فصول ومباحث مترابطة متصلة، كموضوع: (الجهاد) ويندرج تحته: حكم الجهاد وفضل الجهاد والمجاهد، وأنواع الجهاد: الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال، والجهاد بالبيان، وجهاد المنافقين، وجهاد الكفار وجهاد الشيطان، مع المحافظة على تسلسل الأفكار، وما يخرج عن صلب الموضوع يحال إلى الحاشية، كشرح غريب أو تعليق أو ترجمة.

رابعا: - دراسة الآيات دراسة تحليلية، مع تدعيم التفسير بالسنة الصحيحة، وبأقوال السلف، وبصحيح قصص الأنبياء والأمم السالفة، وإخضاع البحث للعقيدة الصحيحة، وإبعاده عن خيالات المبتدعين وخرافاتهم، ليكسب الموضوع ثوب الثقة والقبول، مع مراعاة شروط التفسير أثناء عرض الموضوع لا سيما إذا كان ذلك يتصل بالأحكام (١٢)

خامسا: إدراك الباحث أن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، أنزل الله للهداية والتربية، فإذا تعذر فهم معنى آية فلا مجال للخيالات والاجتهادات فيه وليكل علمها إلى الله.

ب -: منهج البحث في سورة واحدة: وذلك يتحقق بالخطوات التالية:

أولا: - التقديم للسورة بذكر اسمها ومحورها العام وخصائصها وفضائلها، والمرحلة وسبب نزولها، مثال ذلك: (منهج القرآن في إثبات البعث بعد الموت من خلال سورة النازعات).

ثانيا: - تقسيم السورة إلى مقاطع وفقرات تتحدث عن عناصر الهدف المقصود، مع ربط المقطع بالهدف الأساسي.

أهمية التفسير الموضوعي: إن القرآن الكريم كتاب هداية ورشد والمصدر الأول للتربية، وهو حجة الله البالغة به تقوم معالم الشريعة وتثبت دعائم الفضيلة وهو العصمة الواقية والنعمة الباقية: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ **(العنكبوت: ٥٠، ٥١) وهو سواء في مجموعه أو في بعض سوره يمثل وحدة موضوعية واحدة متناسقة مترابطة مثل حلقات سلسلة الذهب:** ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ **(الإسراء:٩) يهدي للطريقة التي هي أحسن الطرق وأكملها وأرشدها في جميع شئوون الحياة، ولذا سماه الله روحا يحيي به القلوب ويشرح به الصدور وينور به البصائر:** ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا

الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى:٥٢) وتوعد المعرضين عن أوامر القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد:٢٤) فإنّ الغفلة دليل قسوة القلب وانصرافه عنه، وهو دليل مقت الله للعبد، وهذا أشد ما يعاقب به، وهذا يدعونا إلى التدبر وأخذ العظة والاعتبار والتحصن والتسلح بالقرآن الكريم لينير لنا الطريق ويهدينا إلى أقوم طريق وأهدى سبيل، لا سيما في عصر السرعة التي تشابكت فيه الأقطار وتقلصت فيه المسافات وتسربت الحضارات والتبس الحق بالباطل، وانتشرت فيه الدعوات إلى المذاهب الباطلة والأفكار الهدامة، وظهرت في المجتمعات أمورا لا سابقة لها، وقصرت الهمم عن الرجوع إلى المطولات وأصول مصادر الشريعة، وهذا يدعو العلماء إلى وقفة صادقة جادة في وجه هذه الأفكار لمقاومة هذه المذاهب الهدامة، وإيجاد الحلول المناسبة لمشاكل الناس بصورة عاجلة ومختصرة، إذ ليس من المناسب أن نوجه صاحب القضية أو المشكلة إلى المطولات للبحث عن حل مشكلته، فكان لزاما على علماء الأمة تقديم ما يوفي بمقصود المجتمع بصورة مقنعة تريح خاطره، وليس من الجائز شرعا وعقلا إصدار حكم في قضية من القضايا إلا بعد جمع كل ما ورد حولها من نصوص، ثم دراستها وإصدار الحكم بعد ذلك، ليكون ردا مفحما لتلك الجحافل الجرارة من الأفكار والمباديء التي غزت المجتمعات الإسلامية، وتدَرس في مدارسها، مثل: نظريات فرويد، ودور كيم، وماركوس وغيرهم، وهنا يأتي دور المفسر في التفسير الموضوعي في جمع حقائق القرآن الكريم وتناول قضاياه ودراستها، ثم عرضها عرضا جيدا يتناسب مع روح العصر، ثم استنتاج النتائج التي تفيد الأمة وتعطي أحكاما واضحة لبعض القضايا التي لا تتضح لكثير من الناس، وسيبقى القرآن الكريم بنظرياته وحقائقه الصائبة صامدا على مر الدهور منارا للعلم وهداية للبشرية، ومن هنا تتضح أهمية التفسير الموضوعي وحاجته الملحة ليخرج الناس من المأزق.

الفصل الأول: حقيقة العزم في اللغة والقرآن الكريم

المبحث الأول: مورد كلمة العزم في القرآن الكريم:

العزم في اللغة: تدل مادة: (العين والزاي والميم) في أصل اللغة على الصريمة والقطع، يقال: عزمت أعزم عزما وعزمت عليك إلا فعلت كذا، أي: جعلته أمرا عزما: لا مثنوية فيه، ومنه قول مروان لعبد الرحمن حين سمع أبا هريرة ﷺ يقول: من أدركه الفجر جنبا فلا يصم: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول [١٣] وعن الخليل: العزم ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله أي متيقّنه، ويقال: ما لفلان عزيمة أي ما يعزم عليه وليس له ما يعقد عليه، كأنه لا يمكنه أن يصرم الأمر، بل يختلط فيه ويتردد، ومن الباب قولهم: اعتزم السائر إذا سلك القصد قاطعا له، والرجل يعتزم الطريق: يمضي فيه لا ينثني، والعزم الجد والصبر وأولو العزم من الرسل عليهم السلام: الذين قطعوا العلائق بينهم وبين من لم يؤمن من الذين بعثوا إليهم [١٤]

وعن الراغب: يقال في لغة القرآن: هذا من عزم الأمور، أي من محكمات الأمور التي ظهر رشدها وصوابها ووجب على العاقل أن يعزم عليها ويقوم بها [١٥]

وقيل العزم: الإرادة المؤكدة بتوطين النفس على الفعل والتصميم عليه والمضي على المعتقد في أي شيء كان، ومنه قوله ﷺ: (لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم في الدعاء) [١٦]

ويقابل العزم: الفتور والتقاعس والتردد والاضطراب، وقيل: الاسترخاء والكسل، وقيل: إيثار السلامة مع الكفاف، وقيل: طلب العافية مع القناعة بالعفافة والتبعية والدون، وقيل: ما لا يحمد تركه أو فواته أو الانكفاف عنه شرعا أو عرفا كجهاد أعداء الإسلام أو رد العدوان أو الوقوف بجانب الحق أو طلب الكمال من خيري الدارين.

المبحث الثاني: معنى العزم في الشرع:

اتجاه نفسي جازم، عالي القدرة على تصدي العقبات ومغالبتها، قادر على دفع طاقات وشحنات زائدة لتدفعها الإرادة الجازمة بحسب العادة للأمور التكليفية التي يقوم بـها معظـم الناس (١٧)

وقيل: العزم: هيئة للقوة النفسية متوسطة بين الاندفاع الذي هو إفراط هذه القوة، والارتخاء الذي هو تفريطها

والحقيقة أن العزم خلق نفسي جَمّ ناشئ عن جملة من الأخلاق الكريمة، فهي تتجاذبه وتتنازعه بحسب المواقف التي يمر بـها الإنسان، فتارة يكون ناشئا عن الصبر، وتارة يكون ناشـئا عن الحياء والعزة والغيرة، و تارة عن الخوف وعن المراقبة، إلى غير ذلك، لذا فلا يمكن أن يحدد ما يقابل العزم و يحصر في خلق بعينه، فهو أصل لكثير من الفضائل، و فرع عـن غـيره مـن الفضائل، فيؤول الأمر إلى أن نجعله مقابلا لما يتولد منه وما ينشأ عنه.

المبحث الثالث

الفرق بين العزم والألفاظ القريبة الدلالة منه: كالهم و الهِمّة والإرادة

الحزم: شد الشيء وجمعه وجودة الرأي واجتماعه وألا يكون مضطربا منتـشرا، أو هو: أخذ الأمور بالاتفاق (١٨)

الهم: الحَزَنُ الذي يذيب الإنسان، وما هممتَ به في نفسك وهو الأصل، ويطلق اسم البداءة على النهاية واسم النهاية على البداءة قال تعـالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا﴾ (المائـدة ١١)(١٩)

وقيل: هو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر (٢٠)

الهمة: واحدة الهَم يقال فلان بعيد الهمة، وهو توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره [٢١]

الإرادة: إذا شاء وحاول وأحب الشيء وعنيَ به، وراودته عن الأمر وعليه: داريته[٢٢]

وقيل: هي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، أو هو: السعي في طلب الشيء [٢٣]

وقيل: صفة توجب للحي حالا يقع منه الفعل على وجه دون وجه، وفي الحقيقة هي ما لا يتعلق دائما إلا بالمعدوم، فإنها صفة تخصص أمرًا لحصوله ووجوده كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:٨٢) أو هو: ميل يعقب اعتقاد النفع [٢٤]

الفرق بين العزم والمشيئة: أن العزم إرادة يقطع بها المريد رويته في الإقدام على الفعل أو الإحجام عنه، ويختص بإرادة المريد لفعل نفسه لأنه لا يجوز أن يعزم على فعل غيره، والمشيئة بخلاف ذلك.

والفرق بين العزم والنية: هو أن النية: إرادة متقدمة للفعل بأوقات من قولك: أنتوي إذا بعد والنوى، والنية: البعد، فسميت بها الإرادة التي بعد ما بينها وبين مرادها، ولا يفيد قطع الروية في الإقدام على الفعل، والعزم قد يكون متقدماً للمعزوم عليه بأوقات وبوقت.

والفرق بين العزم والزماع: أن العزم في كل فعل يختص به الإنسان، والزماع يختص بالسفر، يقال: أزمعت المسير، ولا يقال: أزمعت الأكل كما تقول :عزمت على ذلك.

والفرق بين الهم والإرادة: الهَم آخر العزيمة عند موافقة الفعل، ويقال: هم الشحم إذا أذَابه، وذلك أن ذوبان الشحم آخر أحواله، وقيل: الهم تعلق الخاطر بشي له قدرة في الشدة والمهمات: الشدائد.

والفرق بين الهم والقصد: إنه قد يهم الإنسان بالأمر قبل القصد إليه، وذلك أنه يبلغ آخر عزمه عليه ثم يقصده

والفرق بين الهَم والهمة: الهمة اتساع الهم وبعد موقعه، ولهذا يمدح ا الإنسان فيقال: ذو همة وذو عزيمة، وأما قولهم: فلان بعيد الهمة وكبير العزيمة، فلأن بعض الهم يكون أبعد مـن بعض وأكبر من بعض [٢٥].

الفصل الثاني: مظاهر حديث القرآن الكريم عن العزم

أولا: العزم بين الإيلاء والطلاق:

الإيلاء والألية في اللغة: الحلف المقتضي لتقصير في الأمر الذي يحلف عليه، وجعل الإيلاء في الشرع للحلف المانع من جماع المرأة، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٦-٢٢٧)[٢٦] والإيلاء يكون في الضرار والغضب لا في الرضا والنفْع، وهو من ضمن العدد التي يتعبد الله ا لغرض تربية الزوجة الشامسة المتكبرة بفتنتها، لا الإضرار ا كما كان يفعله أهل الجاهلية يرونه نوعا من أنواع أساليب العقاب [٢٧] كما يكون فرصة للتنفيس عن ثورة غضب لتعود الحياة بعده أنشط وأقوى، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ آلى من نسائه شهرا، فلما مضى تسعة وعشرون يوما غدا أو راح، فقيل له: إنك حلفت أن لا تدخل شهرا، فقال: (إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما) وعن أنس رضي الله عنه قال: آلى رسول الله ﷺ من نسائه وكانت انفكّت رجله، فأقام في مشربة تسعا وعشرين ليلة [٢٨] ولكونه يتعلق بالحقوق البشرية فقد تتداخله بحكم ما يتسم به البشر من ضعف ونقص ومن ميول ونزعات وانفعالات، ومن عواطف ومشاعر حزازات نفسية وشهوات مغرضة، ينتج عنها الإضرار بالزوجة والإساءة إليها نفسيا ومعنويا، بحيث تصبح معلقة ليست بذات زوج ولا مطلقة، وهذا يتنافى مع وجوب المعاشرة بالمعروف التي أمر الله ا من جهة، ولا يتفق مع تعاليم الإسلام الرشيدة التي مقتضاها عدم التشفي والانتقام، لا سيما ما يقع بين الزوجين بعد الألفة والوئام والمحبة من التنافر

والبغضاء بسبب إيثار رغبات النفس على حكم الله تعالى، لما يترتب على ذلك من أضرار دينية ودنيوية، ولكي يقاوم الإنسان هذا الخلق السيء من نفسه مترفعا عن الانقياد لشهوات النفس المردية، ويربى تربية شاملة مستسلما لأمر الله تماما لمواجهة معوقات ضروب الحياة ويتمرس على التعامل مع مختلف الظروف، لذا تولى القرآن الكريم تربية النفوس وترويضها من خلال هذا النموذج الامتحاني الذي يخالجه هضم النفس والإيثار، وهو سلم النجاح لمغالبة النفس على مرادها: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر ٩) ويتأكد هذا حينما يذكر الله المحافظة على الصلاة في ثنايا هذه الأحكام: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة:٢٣٨) موحيا بأن هذه أيضا طاعة، ولها مكانة كمكانة الصلاة، فأمر الله تعالى بالإحسان إلى الزوجة- التي تتميز بالاعوجاج واللجاجة- معاشرتها بالمعروف، وحرم الإضرار بها مع ما يصدر منها من أمور تحمل الإنسان على تربيتها بشتى الصور والأشكال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (النساء:١٩)

وفي مقابل إقرار الإسلام جواز الإيلاء نظم أحكامه، لئلا يتصور البشر هذه الرابطة بين الجنسين قيدا لا سبيل إلى الفكاك منه كما تصوره الجهلاء، مع بذل الجهد لإنقاذ هذه المؤسسة الكريمة بتوطيد أركان البيت وتوثيق أواصر الأسرة ورفع هذه الرابطة إلى مستوى العبادة، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٦- ٢٢٧) (٢٩)

ثانيا: العزم على مجانبة الخطبة أثناء العدة:

إن المرأة في عدتها ما تزال معلقة قريبة عهد بذكريات مطلقها ومشاعر أسرة الميت، ومرتبطة كذلك بما قد يكون في رحمها من حمل لم يتبين، أو تبين والعدة متعلقة بوضعه، وكل هذه الاعتبارات موضع احترام وتقدير من الإسلام للجنسين، تمنع الحديث عن حياة زوجية

جديدة، لئلا يجرح المشاعر أو يخدش عبق الذكريات، والإسلام يدرك ضعف البشر أمام هـذه الرغبة، ويدرك الميل الفطري لبعض النفوس إلى مجانبة الصواب، فلم يحطم هذا الميول الفطـري إنما يهذبه، ولم يكبت النوازع إنما يضبطها، ومن ثم ينهى فقط عما يخالف تهذيب الشعور ويقظة الضمير، ومع رعاية هذه الاعتبارات فقد أباح التعريض لا التصريح بخطبة بعض النساء بإشارة تلمح منها المرأة أن هذا الرجل يريدها زوجة بعد انقضاء عدتها، كأن يذكرها للولي يقـول: لا تسبقني بها، أو يقول لها: أني أريد التزويج، أو لا تسبقيني بنفسك وإن الله لسائق إليك خيراً، أو يهدي لها هدية إذا كان من عادته، قال تعالى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٣٥) فإن التصريح بالنكاح أو المواعدة سراً على الزواج قبل انقضاء العدة فيه مجانبة لأدب النفوس، واعتداء على الكرامات التي حافظ الإسلام عليها، وكان النهي بليغا بقوله: ﴿وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (٣٠) مشعرا بعظيم جرم مـن يرتكـب ذلك، لأن الله تعالى جعل العدة فاصلاً بين عهدين من الحياة، لذا حرم النكاح في العدة، فلا بد من احترام ذلك ووضعه موضع التقدير، وهذا الاهتمام من القرآن الكريم إنما هو لتربية عزائم النفوس في كل أمر ونهي (٣١).

ثالثا: العزم على التوكل بعد الشورى

الشورى في اللغة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران ١٥٩) (٣٢) والتوكل يقال على وجهين: توكلت لفلان: توليت له،

ويقال: وكلته فتوكل لي، وتوكلت عليه: اعتمدته: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران ١٢٢) [٣٣]

الشورى: منهج إلهي مسجل في نصوص قرآنية قاطعة إما تصريحا أو تلميحا، وهي من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، حيث أمر الله رسوله ﷺ وهو أكمل الناس عقلاً، وأغزرهم علماً، وأفضلهم وأصوبهم رأياً: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران ١٥٩) فكيف بغيره !، وقد كان ﷺ تنفيذاً لأمر الله يعطي الشورى حقها من الاعتبار والمكانة، وكان يشاور أصحابه في جميع الأمور، ليبين ﷺ عمليا أنّ الشورى في نظر الإسلام لها مكانة وأهمية، بل قد اعتبرها الإسلام من العبادات، لما فيها من تنوير للأفكار وإبراز للمواهب واستنجاد للأنفس بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ فليس بملوم، وللشورى وقتها ونظامها وأسسها، ومهمتها تقليب أوجه الرأي واختيار اتجاه من الاتجاهات، دون النظر إلى شكلها أو الوسيلة التي تتحقق بها، فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها، فإذا تحقق المطلوب بأي شكل ووسيلة، وظهر الوجه الأصلح فيها، ثم بعدها دور التنفيذ والمضي في عزم وحسم دون تردد مع التوكل على الله والاستسلام لقدره: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩) ولا مجال بعدها للتردد ومعاودة تقليب الرأي، أو مراجعة التبعات والخسائر المتوقعة، فهذا مآله الفشل والتذبذب الذي لا ينتهي والتردد الذي لا يحبه الله تعالى.

وقد نفذ ﷺ درس الشورى عمليا، وهو يعلم الأمة الشورى وكيفية إبداء الرأي واحتمال تبعته بتنفيذه في أخطر الشؤون وأكبرها في المضي، وهو أمر الخروج يوم غزوة أحد حين اختلفت الآراء في أمر مصيري يحتاج إلى روية وتؤدة وإلى تفكير عميق بعيد عن الحماس، فرأت مجموعة يوم غزوة أحد أن يبقى المسلمون في المدينة حتى إذا هاجمهم العدو قاتلوه على

أفواه الطرق، وتحمست مجموعة أخرى - لم تخرج يوم بدر- للخروج للقاء المشركين خارج المدينة، فكان من شؤم هذا الاختلاف صدع الوحدة حيث عاد- رأس المنافقين- عبد الله بن أبي بن سلول- وكان يرى رأي رسول الله ﷺ- بثلث الجيش، واستكرهوا رسول الله ﷺ على الخروج (٣٤) ولم يغب عن رسول الله ﷺ هذه النتائج الخطيرة بناء على رؤيا رآها ﷺ وتأولها: قتيلاً من أهل بيته وقتلى من صحابته وإصابات في نفسه (٣٥) وكان من حقه أن يلغي ما استقر عليه الأمر نتيجة الشورى، وحين أتيحت فرصة أخرى بتردد المتحمسين وتركهم الأمر له ليخرج أو يبقى، خوفا من أن يكونوا استكرهوه ﷺ على ما لا يريد، لم ينتهز الفرصة ليرجع، وهو يعلم ما وراءه وإلى أين هو ماض ويدرك ما الذي ينتظره وينتظر أصحابه معه من الآلام والخسائر والتضحيات، لكنه أمضاها فدخل بيته فلبس درعه ولأمته دون تردد، لأنه أراد أن يعلمهم بدرس الشورى، بمقتضى عرض تطبيقات النبي ﷺ في رعاية الوحي لهذا المنهج الرباني في عقد العزم والمضي قدما مع التوكل على الله في واقع الحياة العملية، حتى تكون هذه الممارسة المثلى نموذجاً نظريا واضحا من أن إقرار المبدأ بتعليم المسلمين وتربيتهم لحياة عملية أكبر من الخسائر الوقتية، ولو كان وجود القيادة الراشدة يمنع بعد الشورى من المضي قدما، أو يمنع تدريب الأمة عليها تدريباً عملياً واقعياً في أخطر الشؤون، لكان لوجود رسول الله ﷺ ومعه الوحي من الله تعالى كافياً في إعطاء المسلمين بعد الشورى فرصة معاودة الرأي في المضي قُدماً، لا سيما بعد توقع النتائج المريرة التي تهدد مستقبل المسلمين.إنما هو رأي وشورى، لكن الإسلام وضع مسافة للشورى، ثم بعدها المضي في عزم مضاء وتوكل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ليبقى أبد الدهر في كل شئون الحياة قانوناً تطبيقاً، لذا كان وضوح الرؤية وظهور وجه الحق والصواب بعد ممارسة الشورى لا سيما أثناء المحن كالابتلاء والتمحيص ملزما للمسئول بعد توكله على الله على إمضائه سواء كانت معه الأكثرية أو الأقلية، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩) أي: أن الهمة إذا أخذت حقها من تداول الرأي والتمحيص وتحدد الهدف فلا يبقى سوى دور التنفيذ، فلا مجال بعـد ذلـك للتردد أو للتذبذب أو للتلكؤ، وإنما هو تنفيذ ومضي في عزم وإقدام وحسم، مع الاتكال على الله تعالى (٣٦)

رابعا: الثناء على آدم عليه السلام بترك العزم على المعصية

لقد القرآن الكريم موقفين يتجلى من خلالهما مدى تأثير الهمم في النفوس،: موقف يتبين فيه عاقبة ضعف العزيمة التي تؤتى منها الأنفس وكيف تقف الموانع في وجهها، ذكر الله قصة آدم عليه السلام وموقفه من إغراء الشيطان وأكله من الشجرة، وأثنى عليه بعدم عزمه على الأكل من الشجرة مخالفة لأمر الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً، فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى، فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى، فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى، قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ (طـه:١١٥)

خلق الله آدم عليه السلام من تراب ليكون مستخلفا في الأرض، مالكا لما فيها فاعلا مطورا مؤثرا فيها بإرادته، وهي التي يعبر عنها بالعزم، فما دام صاحب إرادة فجميع القيم المادية تخضع له ولا تستعلي عليه؛ ومثله لا بد له من ميدان معركة لمعرفة مدى استعصامه بإرادته وعهده مع ربه، أو يستسلم لشهواته، والإرادة هي مفترق الطريق بين الإنسان والحيوان، وهـي بمثابـة مقياس لمعرفة قدر ضبط رغائب النفس والتحكم فيها والاستعلاء عليها بالصبر علـى الوفـاء بالعهد والتقيد بالشرط، لقد أبيحت لآدم عليه السلام كل ثمار الجنة إلا شجرة واحدة، ربما كانـت

ترمز لاختبار إرادته والتحكم في رغائب النفس، فكانت هذه أول جولة للإنسان مع العزم منذ خلقته، وكان أول اختبار للإرادة وأول تمحيص للعزيمة وكان من نتائج الجولة الأولى، أن نسي آدم عهد الله وضعفت إرادته ووهن عزمه أمام غواية يسيرة وإغراء قصير، وكان هذا إيـذانا بانطلاق المعركة الطويلة إلى آخر الزمان بين الإنسان وإغراء الشيطان، وعرف الإنسان منـذ فجر البشرية كيف يهتدي إذا شاء الاهتداء، وكيف يضل إذا اختار لنفسه الضلالة: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طـه:123) ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل:99) وكانت هذه التجربة تربية وإعدادا لـه وإيقاظا للقـوى المـذخورة في كيانـه وتدريبا له على كيفية تحكمه في عزيمته

الموقف الثاني يبين لنا فيه قوة العزيمة، وثبات الجأش وطول الأمل وسعة البال وإنزال الرجاء مقام تحقق الوقوع دون ملل أو كلل أو توان، وهذا الموقف يتمثل في أبينا نوح عليه السلام ومدى مقدار عزيمته، لقد أنزل الله في حقه سورة تتلى إلى يوم القيامة، تحكي لنا مدى ثبات عزمه عليه السلام وقوة عزيمته في دعوته إلى الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ (العنكبوت:14) يذكر الله سعة صبره وطول رجائه وأمله في إبلاغ رسالة الله، ويصف تجربة من تجارب الدعوة وشوطا من أشواط المعركة الخالدة يمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر، ويعرض صورة من صور الجهد المضني والعناء المرهق والصبر الجميل، أمام صور العناد المستكبر عن الحق، مع ذلك مصرا على هداية البشرية دون طلب أجر أو مكافأة فيقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ، يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً، ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل

لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً، مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً، قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً، وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً، وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالاً﴾ **(نوح ١-٢٤)**

هذا تقرير يعرضه نوح عليه السلام **على ربه- والله تعالى أعلم بحاله- عن عمله الذي أمضى فيه ألف سنة إلا خمسين عاما، قضاها في جهد مضني دائب ملح ثابت، وفي عناء مرهق مع قومه المعاندين، وهي حصيلة عظيمة لتجربة مريرة تعرض على الرسول** ﷺ **وقد انتهت إليه أمانة الدعوة، ليرى فيها صورة الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل، ثم تعرض من بعده على المسلمين، ليروا فيها صورة الكفاح والإصرار والثبات هذا المدى الطويل من أبي البشرية الثاني، وإن الإنسان لتأخذه الدهشة والعجب، وهو يستعرض ذلك الجهد الموصول والإصرار الدائم، كل يوم يخرج نوح** عليه السلام **للدعوة بنشاط متجدد كأنما بعث للدعوة الساعة، ويتردد على مكان مرارا كأنما لتوه يرتاده، ترى هل تساوي الحصيلة هذا الجهد الطويل المستمر وتلك التضحيات النبيلة والجهاد المرير ؟ وقد استغرق عمرا طويلا.**

ثم تلك الجهود المتواصلة منذ ذلك التاريخ، وتلك التضحيات النبيلة التي لم تنقطع على مدار التاريخ ؟ إلى أن توكل وتصل المسيرة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ليكملها، ويواصل ﷺ **موكب الدعوة إلى الله ثابت القدم مستقيم الخطى ماض في الخط بكل عزم، غير مبال بما يعترض طريقه، أو يقطع أمله أو يثني عزيمته، إصرارا على هداية الناس دون طلب أجر أو مكافأة أو استعجال نكال، عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت لرسول الله** ﷺ **يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت**

وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فمـا شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال له رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخـرج الله مـن أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا (٣٧) ويعرض ﷺ نفسه على القبائل يـدعوهم إلى الله فإذا فرغ من قوله وخلفه يتبعه عمه أبو لهب يقول: يا بني فلان إن هذا إنمـا يـدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه (٣٨)

لقد أنزل الله في حقه ليست سورة أو آيات أو موقف كسائر الرسـل صـلوات الله وسلامه عليهم، وإنما قرآنا كاملا يتلى إلى يوم القيامة، وهو يحكي للأمة مدى نفوذ إرادته وقوة عزمه ﷺ في دعوته إلى الله، ومدى سعة عزيمته وصدق رجائه وصبره وطول أمله: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ، وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأنعام:٣٣- ٣٥) ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ (الكهـف:٦) ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (الحجر:٩٧) ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ (فصلت:١- ٤) ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى، عَبْداً إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى . . . كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (العلـق:٩- ١٩)

وإن الناظر في تاريخ البشرية ليعجب وتغلبه الدهشة، حين ينظر في حصيلة دعوة النبي ﷺ وهو يرسم لأمته من بعده مراقي الوصول إلى الكمال، ويلقي دروسا يضفيها على طريق الدعوة ألوانا من الأساليب، تفوقها على من سبقه من إخوانه، فلم يقتصر ﷺ في دعوته إلى الله على بقعة أو مكان أو زمان أو مجتمع أو منهج: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧) لم يستغرق ﷺ في دعوته إلى الله سوى ثلاثة وعشرين سنة، وقد انتشرت دعوته أرجاء العالم قال ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زَوَى لي- جمع- منها) [٣٩] وقال ﷺ: (لا يبقى على ظهر الأرض من بيت مدر ولا وبر إلا أدخل الله عليهم كلمة الإسلام) [٤٠]

إن استقرار هذه الحقيقة في النفس يعني أن النتائج لا تقاس بالجهود المبذولة، وأن الآمال والأهداف لا توزن بما يبذَل من عقد العزائم، ولقد أثبت الواقع أن النفس البشرية لم ترتفع وتبلغ آفاق الكمال المقدر لها، مع التنكيل بهم ألوانا شتى من النكال، كإلقاء إبراهيم عليه السلام في النار، ونشر غيره بالمنشار، وقتل وصلب آخر على رءوس الأشهاد، وأخرج محمد ﷺ من وطنه، ومؤامرات ضد طريق الإصلاح، إلا بعد أن استقر في نفوسها أن الكمال لا يحصل بالقعود، وأن الأهداف لا تتحقق بالنكوص، وأن الآمال لا تتحقق بالتمني، وأن تمني الأماني من نصيب العجزة، وحين يتحقق لروح الإنسان هذا القدر من الانطلاق، يهون الجهد وتهون المشقة وترخص التضحية، ويتوارى هذا كله لتبرز تلك الحصيلة الضخمة التي ترجح الأرض والسماء في ميزان الله: (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته) [٤١].

خامسا: أمر النبي ﷺ بالاقتداء بأولي العزم من الرسل

العزيمة والإرادة من صفات البشر ومن الفطر المركوز فيهم، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم أولو عزم، يعتريهم ما يعتري سائر البشر من الصفات الخَلْقية والخُلُقية، لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم، غير أن هناك من امتحن في ذات الله في الدنيا بالمحن فلم

تزدهم المحن إلا جدا في أمر الله كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، عن مسروق قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها ظل رسول الله ﷺ صائما ثم طواه، ثم ظل صائماً ثم طواه، ثم ظل صائما، قال: (يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف:٣٥) وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله) (٤٢) كما أنهم يتفاوتون في طلب النتائج والنظر إلى العواقب لا في بذل الجهد في دعوتهم إلى الله، ولا شك أن طلب النتائج أيضا جزء من أعباء الدعوة، إلا أن استعجالها ينافي مقام صبر الرسل، ولو اقترن الصبر مع أعباء الدعوة بما في ذلك النتائج وفي بذل الجهد في الدعوة كان أجل وأعلى، وهذا ما يتضح لنا من قصة يونس عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (القلم:٤٨) فيونس عليه السلام استبطأ إيمان قومه وشق عليه تلكؤهم، فقل صبره وتصرف في شأن نفسه قبل أن يأذن الله له، فتركهم مغاضبا مؤملاً في أن يرسله الله إلى قوم آخرين يسرعون لاستجابة دعوته، وهذا ليس إليه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩) ولا يخلو طريق الدعوة من مشاق: مشقة التكذيب والتعذيب والعناد وافتتان الناس بالباطل، ثم مشقة توطين النفس على هذا كله بنفس راضية مستقرة مطمئنة إلى وعد الله، ومهما تكن المشاق فإنّ الداعية مكلف بالصبر عليها، لا يرتاب ولا يتردد في قطع الطريق حتى يحين وعد الله، وما دام هو في سبيل الله فهذا يسكب قلبه الطمأنينة في حالتي قوته وضعفه، فليست قوته هي التي تنصره، أو ضعفه يهزمه أمام الحق والباطل.

سادسا: العزم على فعل الطاعات

وصفت مباشرة بعض الأعمال في القرآن الكريم بعزم الأمور، لما يترتب عليها من مشقة وجهد لا تتحقق إلا بقوة وعزم صادق، ولعل ذلك راجع إلى نفس الفعل، أو إلى مطالبة الإنسان قدرة على التعامل معها قدرا زائدا من العزيمة والصدق منها:

منها قوله تعالى في سياق وصايا لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧) إن الطاعات بمجموعها أضفى الله تعالى عليها نوعا من الثقل والمشقة لتكون موضع ابتلاء وامتحان للإنسان، والنفس بطبيعتها تميل إلى الشهوات وتتثاقل الطاعات: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ (الأحزاب:٧٢) ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر ٢١) ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل:٥) فليس القرآن في مبناه ثقيلا وإنما في تكاليفه التي تحتاج إلى استعداد ومقاومة، وأول تكاليفه ثقلا وتكلفا على النفس الصلاة المؤداة بكمالها، ويلاحظ الأمر فيها بالإقامة وهو أبلغ من سائر الألفاظ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة ٤٥) قال ﷺ: (أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر...) [٤٣] ثم يماثلها ثقلا ومشقة وتكلفا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك، وتوجه التكليف فيه بلفظ: الأمر: ﴿وَأْمُرْ . . . وَانْهَ . . . وَاصْبِرْ﴾ وهو أشد على النفس لأن فيه معنى المجابهة والمصادمة واجتراع المرار، لما جبلت النفوس عليه من التواء وعناد، وانحراف القلوب وإعراضها عن تقبل الحق، والتحرر من الأهواء والمألوفات، والتنازل عن بعض الممتلكات، والوقوف عند حدود الله فيما أمر ونهى وأحل وحرم: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ، وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ، وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾

(الشورى:٣٦- ٤٢) أي: أن هذه الأمور لا يتلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ولا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم ذوو الألباب والبصائر، وأكثر الناس يقاومونها ولا يتقبلونها، ويحاربون دعاتها بكل سلاح، مغترين بأنهم أكثر مالاً وأعز نفراً، وأقوى نفوذاً وأوسع سلطاناً، ولا يخل الإنسان من تحمل مشقة الطاعة في نفسه أو من غيره، ولا يعينه على تحمل ذلك إلا الصبر، وثقل الصبر على النفوس أكبر وأشد من أي عبادة وطاعة، ثم بعد ذلك إصبار النفس بالتنازل سواء بسماحة النفس أو بإجبارها على العفو والمغفرة وقهرها عن التشفي: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وهذه النصوص تصور الاعتدال والتوازن بين الاتجاهين، وتحرص على صيانة النفس من الحقد والغيظ والبغي، ومن الضعف والذل، والرضا في كل حال، وتجعل الصبر زاد الرحلة الأصيل، ومجموعة صفات المؤمنين ترسم طابعاً مميزاً للأمة التي تقود البشرية وترجو ما عند الله وهو: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فليس أمام الدعاة أو المدعوين إلا أن يعتصموا بالعزم وأن يتسلحوا بالصبر في وجه الهوى والنفس والشيطان: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي من المحكمات التي قطعه قطع إيجاب ولا يقدر عليه إلا الصابرون (٤٤)

سابعا: العزم على الصبر على البلاء وتقوى الله عز وجل

منها قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة:١٥٥، ١٥٦) الابتلاء: الاختبار من البلى وهو الخلق ومنه سمي الغم بلاءً لأنه يبلي الجسم ويذيبه، وسمي التكليف بلاء لأنه شاق على الأبدان ويبلي الجسم ويذيبه بمشقته لعدم تقبله، وابتدأ الكلام في الآية بالقسم للمؤمنين بأن من سنة الله في الكون البلاء والأذى في الأموال والأنفس، ومن مجابهة الدعوة للشهوات: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران:١٨٦) واختبار الله تعالى لعباده تارة يكون بالمسارات ليشكروا، وتارة يكون بالمضارات ليصبروا، فصارت المحنة

والمنحة ابتلاء واختبارا، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، غير أن القيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين، وقد قيل: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله، ولذا روي عن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم قولهم: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نشكر [٤٥] وإذا قيل: ابتلى فلان كذا وبلاه فذلك يتضمن أمرين:

أحدهما: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره.

والثاني: ظهور جودته ورداءته، وربما قُصد به الأمران وربما قُصد به أحدهما [٤٦]

وإذا كان صبر الإنسان على ما يبتلى به في المال والنفس والكرامة قد يكون أيسر، غير أن الصبر على الاعتداء على دين الله تعالى يكون أشد، فالحرب الإعلامية والدسائس التي يشنها المشركون لتشويه صورة الإسلام وأهله بالتشكيك في دعوتهم وفي سيرهم وسيرتهم، فلابد من معرفة مداخل الشيطان، ولابد من فحص مزالق الطريق، ومسارب الضلال، ولابد من صبر ومقاومة باعتزام: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (الأنفال:٧٣) ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (الجاثية:١٩) خرج ﷺ ليعود سعد بن عبادة ﷺ على حمار عليه قطيفة فدكيه، فمر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله ابن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خَمر عبد الله بن أبي أنفة بردائه وقال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، أرجع إلى رحلك فمن جاءك فأقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة ﷺ: بلى يا رسول الله فأغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة،

فقال النبي ﷺ: (يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب ؟) يريد عبد الله بن أبي، قال: (كذا وكذا) فقال سعد: يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالله الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان ﷺ وأصحابه يعفون ويصبروا على الأذى قال الله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٦) والصبر والتقوى المنبثقان من العزيمة الصادقة هما زاد الطريق، لتوطين النفس على احتمال مكارهها: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ (البقرة:١٠٩) (٤٧) وقرن الله أمره بالصبر مع التقوى: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ دعوة إلى إنماء روح العزم ليتعفف المؤمن بحكم قيم إسلامه في السلم والحرب والرخاء والشدة عن مقابلة الخصوم بمثل أسلحتهم، بل يصبر ويعتزم على ما فيها من مشقة، ويحافظ في ثنايا الصراع على تقوى الله فلا يشط فيعتدي، ولا ييأس من رحمة الله ويقطع أمله في نصره وهو يعاني الشدائد (٤٨)

ثامنا: العزم على الصدق مع الله عز وجل.

الابتلاء درجات والمبتلون به طبقات، فبعض الابتلاءات أشق على النفس: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ، طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ (محمد ﷺ:٢٠، ٢١) هذه الآيات تكشف عن بعض صور الابتلاء وعن حال تعامل الناس معه، فمنهم الثابت كالمؤمن الصادق، ومنهم الناقص المتخاذل كالمنافق المضطرب، ولا تزال فرصة الثبات على الابتلاء اليسير قائمة: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ غير أن طلب العافية على كل حال هو الأليق، لكن إذا جد الجد وتحتم الأمر فالصدق مع الله تعالى وخلوص النية في

جميع الأمور قولا وعملا خير من الخور ومن الهلع والاضطراب ومن النقص والنفاق: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ ومن علامة نقصان العبد تعلق نفسه بأمر ليس في وسعه كتعلقه بالآمال أو بالمستقبل كالوظيفة في وقتنا الحاضر، كما تعلق المنافقون بالأهل والمال، لأن الهمة تنتقل عنه إلى غيره والعمل تبع للهمة، والذي ينبغي أن يجمع له العبد همه وفكره ونشاطه وعزمه هو استغلاله لحاضره، ويؤدي وظيفته بحسب قدرته، ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعيناً بربه في ذلك، فهذا أحرى بالتوفيق والتسديد في جميع أموره [٤٩]

الفصل الثالث

خلق العزم بين القوة والضعف وتطبيقاته على السلف

المبحث الأول: عوامل انهيار خلق العزم

أودع الله في البشر نوازع ودوافع من أجل قيام الكون ومسيرة الحياة: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ (البقرة ٢٥١) ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ (الحج:٤٠).ومن جملة ذلك خلق العزم، فهو ينمو ويسمو، ويضعف ويتراجع بحسب مقدار تعامل الإنسان مع عوامله، فإما أن يغالب بقوة إرادته هذه العوامل، أو باستكانته لها تغلبه هذه العوامل، وغالب الأنفس يثني همها حب السلامة من الغوائل، فتميل إلى حياة الدعة والخلود، وإذا استطعمت حياة الترف، فيغريها الكسل عن طلب حياة السؤدد التي لا تكتسب إلا بتحمل المشاق وجوب الصعاب والحرمان من الراحة، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ (آل عمران:١٤) وقال ﷺ: (حفّت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات) [٥٠].أي: أن الجنة لا يتوصل إليها إلا بعقد العزائم على حمل النفس على المكاره، والنار بارتكاب الشهوات والنفس تميل إليها، والوفاية منها تطلب عقد

العزائم وربط الإرادة على اجتناب المنهيات [٥١].وما أصدق في ذلك من حياة المصطفى ﷺ منذ أن بعثه الله رحمة للعالمين، إلى أن رحل عن هذه الدنيا وهو في كفاح ودفاع دائم وإقدام دءوب في بناء عز الدنيا وخير الآخرة، كما قال ناعتوه عن نفسه الشريفة: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان- لا ينفك عن حزن إلا ويعقبه حزن آخر- دائم الفكرة ليست له راحة [٥٢] وهكذا الأشراف الكمل أهل العزائم العالية لا يذوقون طعم الراحة ولا يرضون بالدون ولا أن يتقدمهم أحد فيزعجهم بإغباره عليهم، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ، أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾ (الفرقان:٧٤، ٧٥) أما إذا أهمل الناس التسابق إلى العلى، واستبقوا بنبذ العزم وراء ظهورهم الشهوات، وفعوا في أسباب الهلاك وضاعت المجتمعات البشرية، فكم رأينا في واقعنا ممن وأدوا العزم فحل في ديارهم من أسباب الفرقة والضياع حتى أعجز أهل الرأي والحجا عن تدارك ذلك.

وذوبان العزم أو فقدانه إما بسبب مباشر، وذلك بتشويه صورة القيم والمثل والثوابت التي تتطلب العزم، حتى تصبح كأنما هي هي وعكسه المذموم كحال المجتمعات الغربية، أو بسبب غير مباشر كالمؤامرات التي تقتل في الأفراد روح العزم، وهي متعددة منها:

أ- النفاق والمنافقون:

النفاق كما قال الراغب: هو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب [٥٣] كالمكر والخوف والجبن والهلع، والمراوغة والخداع والتمويه، والجهالة والحمق والغباء والغيظ والحقد والعناد: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (المنافقون:١) ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ (المنافقون:٤) والخروج عنه من باب المؤامرات والعصبية والمكابرة والدسائس والإرجاف والمثبطات والمعرقلات: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون:٢) ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾ (المنافقون:٧) يوضح القرآن الكريم صورة لنوع من البشر قد آثروا حياة الخوف والذل على حياة العز والعزم، يدعون الذكاء والدهاء منذ القدم، ليتخذوا لأنفسهم مكانة لخداع الأصفياء: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة:٨-١٠) من حيث لا يعلمون أن خصلة النفاق في قلوبهم هي التي قتلت العزم، وآفة في طبيعتهم هي التي ذوبت الحزم، ومرض في نفوسهم هي التي دفنت الإرادة، وكلها خصال تتنافى مع عوامل العزم والإرادة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:١١، ١٢) وغفلوا عن اتصافهم بالسفه بظنهم أنها القوة والذكاء، ومتى علم السفيه أنه سفيه ؟ ومتى استشعر المنحرف أنه بعيد عن المسلك القويم ؟ !، ومن أجلها اختلت لديهم موازين الإرادة والطموح: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (البقرة:١٣-١٤)

ومن أجل خطر النفاق على المجتمع الإنساني أنزل الله سورة تبين خصال النفاق المثبطة للإرادات والعزائم، لإعلام المؤمنين بأن حركة النفاق قديمة ولا تزال قائمة وإن تغيرت مظاهرها ووسائلها، ليكشف الله تعالى للمؤمنين مخابئ النفاق ودسائسه بصورة دقيقة مستفيضة، لتلفت أنظارهم من جهة لتحذيرهم من كل ما يلصق بهم صفة من صفات المنافقين ولو من بعيد: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ (التوبة:٣٨) في الحديث: (من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق) (٥٤) ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة:٤١، ٤٢) ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً

وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ **(التوبة:46)** ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ **(النساء:142)** ﴿ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ **(التوبة:54)** ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ **(التوبة:81)** ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ **(التوبة:86، 87) وكان من آثار ذلك الطبع عدم إدراك غاية الوجود، وعدم الإيقان بـاليوم الموعود، وكيف يعلم المنافق ذلك وهو لا يتذوق العزة ولا يتصل بمصدرها ؟ ولا يستشعر يوما أن له هدفا أعلى يليق بمثله:** ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ **(الفرقان:44)**

ب - عدم الإيقان بيوم الدين

إن من أوائل ما حرص عليه القرآن الكريم في تربيته هو إقامة موازين العدل لتتعمـق جذور مبدأ البعث بعد الموت والجزاء على الأعمال، فإن بموازين العدل والإيمان بالبعث يتصور العبد الجزاء على الأعمال، فيندفع إلى كسبها وهو خير معيار لترغيبه في التسابق فيها رغبة في الجزاء عليها: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ **(الأنبياء:47) وقال ﷺ: (يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسع وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقال له: أتنكر من هذا شيئا، فيقول لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة فيها فيقول الرجل: لا يا رب، فيقول: بلـى إن لك عندنا حسنات وأنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله" فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟، فيقول: إنك لا تظلم، قال فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقـة)** [55] **وهـذه**

العناية القرآنية والتربية المحمدية أمر يحرك في النفوس أسمى طرائق الخير والتسابق فيه، ويحول بينها وبين أسباب الصوارف، ويملؤها بالفضائل ويحجبها عن الرذائل، فتستقيم الأمور ويسود التنافس في مختلف المجالات.

وحين يعدم الإنسان الإيمان باليوم الآخر ويعدم تصور الجزاء على الأعمال، يعدم العزيمة والإرادة والطموح، وينتقل إلى الانهماك في الشهوات والتسابق في الانغماس في لذائذ الدنيا على أنها هي هي، والانطلاق وراء أهواء النفس الجامحة، طلبا للدنيا دون رقيب أو وازع، ومن ثَم تختل موازين الحياة ويستحوذ الشر على النفوس، ويبقى الأمر والنهي منقادا لهوى النفس والمصالح الشخصية، والأنفس البشرية مهما علت وسمت فإنها بطبيعتها قاصرة عن إرساء قواعد الفضيلة وتأصيل أصول الخير، ولا أدل على ذلك من الأمم المادية التي عدمت البصيرة وفقدت الإرادة وآمنت بالمادة مبدأ وغاية، وصاغت بأهوائها وبنظرياتها المادية قوانين تحكم حياتها وتنظم شئونها، فأحدثت تلك النظريات خللا في مسار حياة البشر، حيث أغفلتهم عن الهدف الأساسي من وجودها، وهدمت جانبا مهما في حياتها ألا وهو النظر فيما بعد الموت، وانعكست آثارها على العالم بالشر المستطير.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في عدة مواضع مبينا آثار التكذيب بيوم الدين منها: ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسِرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين... ﴾ (المطففين ١) وقال تعالى: ﴿ أرأيت الذي يُكذب بالدين، فذلك الذي يَدُعّ اليتيم، ولا يَحُض على طعام المسكين، فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يُراؤن ويمنعون الماعون ﴾.(الماعون) وقال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره- أو فليحسن إلى جاره- ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) [٥٦].وقال: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره- أو لأخيه- ما يحب لنفسه) [٥٧].فما حل الظلم مكان العدل والاعتداء مكان الاهتداء والإبادة مكان الإرادة إلا بسبب التكذيب بيوم الدين، ومن ثَم عمد القرآن الكريم في

تربيته للنفوس إلى التذكير بيوم الجزاء، ترغيبا في التسابق والتطلع إلى ما هـو أعـز وأكـرم، لتربيتهم على بعد النظر في مطالبهم، لتتنامى فيهم العزائم وتقوى الإرادة، وصـولا إلى عـالم أفضل وحياة أكرم وإنسانية أكمل.

ج- قصر النظر:

إذا انحصرت مطالب الإنسان في تلبية شهواته، وانصب جهده في نيلها وأهمل النظر في عواقبها، وضعف عن طلب المعالي، أو غفل عن يوم غده، دل ذلك على غفلته وقصر بصيرته وضعف عزيمته وفتور إرادته، أعقبه طغيان وضياع وإهمال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر:23- 24) فكم خدع نضرة الشباب وغر زهرة النعيم الضافي، كم خدع سلامة العافية وغر نشاط الأجسام، كم خدع ناعم المطاعم وغر عذوبة المشارب، كم خدع وفرة المادة وغر بسطة السلطان، كم خدع طول الأمل وغر كثرة الحرص، كم شهوة استحلاها العبد فكان فيه حتفه، كم وكم، حتى جاء أمر الله بغتة فقدم على ما قدم، كحال بعض مسلمي اليوم الذين لا يرفعون للإصلاح رأساً أو يعرفون للأوامر والنواهي معنى، وكحال المجتمعات الكافرة المتخلفة عقلا وإدراكا، حيث قصرت مطالبها على ما يشبع شهواتها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يونس:8) بل كان إيثار النفاق من أجل قصر النظر بالآخرة، كما لفت الله أنظار عباده عقب ذكر بلادة المنافقين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون:9) أما الإسلام فهو دين ومنهج يربي أتباعه على بعد النظر، وينمي فيهم قوة العزيمة، ويشحن فيهم ثبات الإرادة والتطلع إلى الكمال، كما كان يفعل معلم البشرية ﷺ حيث كان يرشد أتباعه إلى بعد النظر في مطالب الدنيا والآخرة، فعن ربيعة رضي الله عنه قال: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: (سل) فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: (أو غير ذلك)

قلت: هو ذاك قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود) (٥٨) وأتت امرأة سوداء إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك) فقالت: أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها (٥٩) لما وقر في نفوسهم من أنّ حياة الترف والنعومة تدعو إلى الدعة وتصد العبد عن المضي قدما، وتضعف الإرادة عن تحمل مشاق حياة الكرامة واقتحام الصعاب وتذليل العوائق، وهي لا تتفق مع حياة الخلد.

هـ - التـرف

الترف كما قال الراغب: هو التوسع في النعمة، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود:١١٦) (٦٠) إنّ حياة الرفاهية والاستغراق في المتع والتوسع في الملذات والا ماك في والشهوات، من أهم أسباب ذوبان العزم وقتل الإرادة، فهي تطمس البصائر وتبلد الإحساس، وتحبب حياة الرفاهية والنعومة إلى النفس وتغرس الأنانية، وتقلب المفاهيم على أ ا المدنية وسمة الكمال والرجولة، على أ ا المطلب المأمول والهدف المنشود، ومن ثم الكفاح والجد والنضال من أجلها، وصرف الهمم مادياً ومعنوياً في توفير حياة الرفاهية والبذخ وأنواع المتع، كجلب الخدم والمراكب الفارهة وأنواع الرفاهية المرفق للهمم، وقد يتعدى ذلك إلى محاربة الفضائل وملاحقة المصلحين الذين يصلحون في الأرض: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ، قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (النمل:٤٨، ٤٩) فإن الترف عموما يصحبه البطر والأشر والاستهتار بالقيم وعدم الاهتمام بالعواقب حتى تنقلب لدى العبد الموازين وتنتكس فيه المقاييس: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سـبأ:٣٤) فتنسيه الحكم الإلهية والإرادات الربانية في هذا الكون، كما حكى الله تعالى عن فرعون عندما توالت عليه نعم الله فاغتر ا فكانت مدعاة للبطر والأشر: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ

وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ **(يونس:٨٨) وقال تعالى عن مترفي الأمم السابقة:** ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ، وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴾ **(المؤمنون:٣٣، ٣٤) وامتد هذا التصور الزائف إلى شباب اليوم، فظنوا أن الغاية من الحياة هو استغلالها بالشهوات، فما قتل همم الشباب اليوم ووهن عزائمهم، أو ذابت فيهم الحمية الدينية، أو تقاعسوا عن طلب حياة الجد إلا الترف، يوجه ﷺ الأمة إلى حياة الجد ويذكي فيهم روح العزم ويشير إلى عدم تعويد الجسم على الرفاهية فيقول: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال: (إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط)** [٦١] **وأوصى معاذا ﷺ: (إياي والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين)** [٦٢]

المبحث الثاني: عوامل تقوية خلق العزم

إنّ الإنسان هو ذلك الكائن المختار، سيد هذه الأرض، ومن أجله خلق كل شيء: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ **(البقرة:٢٩) فهو أعز وأكرم وأغلى من كل ما على وجه الأرض، أودع الله فيه نوازع ودوافع ومن القوة والإرادة ما يمكنه من التغلب على شهواته وقهر نفسه على مرادا ا، وهيأه الخالق لتلقي مصادر حياته بشتى ألوا ا، ويتأثر بمخلف التيارات والتقلبات الزمانية والمكانية ويتكيف فيها بحسب إرادته، ثم منحه من وسائل التمييز والمعرفة والإدراك ما يمكنه من اختيار الأصلح والأنفع:** ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ **(الشمس:٧، ٨) وبتأثير التوجيهات السماوية فيه جعلته إنسان هدف ومبدأ:** ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ **(المؤمنون:١١٥)**

ولقد استطاع الإسلام بتعاليمه الرشيدة، وبقوة تأثيره بأسلوبه البياني المقنع في القلوب، ثم بفضل الدعاة المخلصين، نقل أولئك المنغمسين في الترف والملذات، إلى حياة التقشف والنضال والإيثار والتضحية أقصى درجاته، وإن الناظر ليعجب مما يقرأ أو يسمع عن تلك النماذج: عن خباب ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله، فقعد وهو محمر وجهه فقال: (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه) [٦٣] وكان مصعب ﷺ أعطر فتى مكة شبابا وجمالا، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان رسول الله ﷺ يذكره بحسن لُمته وبرفيق حلته وما كان فيه من نعمة، طلع مرة ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه اليوم وما رآه من النعم قبل، وقتل يوم أحد فلم يجدوا له كفناً إلا نمرة إذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه فإذا غطوا رجليه خرج رأسه، فأمر رسول الله ﷺ أن يغطى رأسه بها ويجعل على رجليه من إذخر [٦٤]

كيف انتبه هؤلاء للحياة الحقيقية، ووقر في نفوسهم طلبها، وكيف انتقلوا إليها، لماذا آثر هؤلاء حياة العراء والجوع والعطش والتشريد والأخطار، كيف تمت هذه النقلة المذهلة فيهم، يظهر من خلال هذه النماذج الرائعة أن الإسلام جاء لينقل بالبشر خطوات فسيحة إلى حياة مشرقة، يزرع صدق العزائم ويرسي قواعد القوة الإرادية على إرغام النفوس على أن تقبل ما لا يوافق هواها، واعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، فلم يكتف في توجيه الأنفس بالتعاليم المعتادة أو الأوامر والنواهي الاعتيادية، إذ لا يكفي في طبع النفوس على صدق العزائم وعلى قوة الإرادة أن يقول الموجه: انجز كذا افعل كذا أو لا تفعل كذا ثم يغفل عن النتائج، فالتقويم المستمر يحتاج إلى تربية طويلة ومتابعة مستمرة، ولن تتأتى التربية على وجهها إلا إذا اعتمدت على الأسوة، وقد كان ﷺ بين أصحابه مثلا أعلى في ذلك، فهو كان يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامي بسيرته التطبيقية قبل أن يغرسه بما يقول من حكم وعظات، قالت عائشة رضي الله عنها لعروة: إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة

أهلة في شهرين (٦٥) وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، ومات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين، فقال: يا خالة ما كان يعيشكم قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبا م فيسقينا (٦٦) ومن قلة الثياب قالت: كان نبي الله ﷺ يصلي وإن بعض مرطي عليه (٦٧) وعن أبي هريرة ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة) قالا: الجوع يا رسول الله قال: (وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما...) (٦٨) ورأى أبو طلحة ﷺ رسول الله ﷺ مضطجعا في المسجد يتقلب ظهرا لبطن، وقد عصب بطنه بعصابة على حجر، فأتى أم سليم فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ مضطجعا في المسجد يتقلب ظهرا لبطن وأظنه جائعا (٦٩) ومع ذلك كان يقول في دعائه: (اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا- قوتا) بينما كان يلتوي وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وهو جائع، وحين يرى أصحاب رسول الله ﷺ إمامهم وأستاذهم ذه الحالة واله له، وقد عرض عليه مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة، لكنه رضي أن يكون عيشه كفافا وقوتا (٧٠) وهو القائل: (والذي نفس محمد بيده لو كان لي مثل أحد ذهبا ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث وعندي منه شيء لا أجد من يتقبله مني إلا شيء أرصده لدين علي) (٧١) وهو القائل: (يا معاشر المسلمين أناشدكم بالله وبحقي عليكم، من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتص مني قبل القصاص في القيامة) فقام من بين المسلمين شيخ كبير يقال له: "عكاشة" فتخطى المسلمين حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: فداك أبي وأمي لولا أنك نشدتنا بالله مرة بعد أخرى ما كنت بالذي أتقدم على شيء من هذا، كنت معك في غزاة، فلما فتح الله عز وجل علينا ونصر نبيه ﷺ وكان في الانصراف، حاذت ناقتي ناقتك ف لت عن الناقة ودنوت منك لأقبل فخذك فرفعت القضيب فضربت خاصرتي، ولا أدري أكان عمدا منك أم أردت ضرب الناقة، فقال رسول الله ﷺ: (أعيذك بجلال الله أن يتعمدك رسول الله ﷺ بالضرب، يا بلال انطلق إلى بيت فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق) فخرج بلال من المسجد ويده على أم رأسه وهو ينادي هذا رسول الله ﷺ يعطي القصاص من نفسه (٧٢) وطعن رسول

الله ﷺ في خاصرة أسيد ﷺ فقال: أوجعتني، قال: (اقتص) قال يا رسول الله: إن عليك قميصا ولم يكن علي قميص، قال فرفع رسول الله ﷺ قميصه فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه (٧٣) تكون توجيهات المصلح المربي أنفذ وأنفع في النفس.

ولا يتحقق ذلك إلا حينما يتجه المصلح ممتثلا روح الإسلام معتمدا في إصلاحه العام على تهذيب النفوس وتوجيهها قبل كل شيء، ويكرس جهوده على ترسيخ روح الإسلام في الأعماق وغرس تعاليمه في جوهرها حتى تستحيل جزءاً منها، تهيمن على وساوس النفس وتتحكم في اتجاهاتها، حتى تستلذ النفس التعب والتضحية في ذات الله، وتؤثر الفداء والتفاني في سبيل الله، تطلب الموت في سبيل الله كما يطلب المترف الخلود والدعة، يرغب الخروج والخلاص من الدنيا كما يدخلها الطفل الودود، أما إذا نمت الرذائل في النفوس وفشا ضررها وتفاقم خطرها وانسلخ المرء من دينه، وكان النشاط والإصلاح مجرد تعاليم جوفاء تتلى وتلقى، وألوانا براقة مصطنعة، وأصبح الإيمان إدعاءً فما قيمة دين بلا تربية ؟ إن أمر تربية العزائم أهم من أي شيء، ولابد من إرشاد متصل ونصائح متتابعة، ليرسخ في الأفئدة أن الإيمان والصلاح والتربية عناصر متلازمة متماسكة، فإذا توجهت النفس إلى مسارها الصحيح، وسلكت سبيل الرشاد، وأدركت قيمة الحياة ومنهجها الصحيح: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (الرعد:٢٦) عندئذ تستعد لاستقبال الحياة بكل قوة وعزم ونشاط، وإرادة ماضية لا تثنيها شهوة ولا تردها إغراءات، إنّ الإرادة المضاءة لا تنقطع للنشاط الموصول والحماسة المذخورة، واحتمال الصعاب ومواجهة الأخطار، بل هي سائق يدفع إلى لقاء الموت دون تهيب إن لم يكن لقاء محب مشتاق.

تلك طبيعة العزيمة والإرادة المنبثقة من الإيمان الراسخ إذا تغلغلت واستمكنت وخالطت بشاشته القلوب، فإنها تضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه، فإذا تكلم كان واثقا من قوله، وإذا اشتغل كان راسخا في عمله، وإذا اتجه كان واضحا في هدفه، فقلما تعرف نفسه

التردد والتلكؤ، وقلما تزحزحه العواطف والمتغيرات عن موقفه: ﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (طـه:١٣٥) هذه الروح الثابتة والضمير اليقظ والتوجه السديد يجعله في الحياة حقاً إنسان مبدأ، يتميز بالصدق وبقوة الإرادة في شخصيته، وثيق العزم مجتمع النية على إدراك هدفه بالوسائل المشروعة، غير متكل على الأماني والآمال والأوهام، لا تجرفه الغمار السائدة ولا تزحزحه اللجج الصاخبة، وماذا عسى يفعل الناس بامريء اعتز بمبدئه واستشعر القوة بربه سوى الخيبة والخسران.

أما الإنسان الضعيف الإمعة الذي تستعبده الأعراف وتتحكم فيه التقاليد السائدة، يسير في ركب الناس، وجوده كعدمه فإن أحسن الناس أحسن، وإن أساءوا أساء، لا يبالي حتى لو كانت على حساب مبادئه وشخصيته: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ (يونس:٧) ويستخلص من هذا أن إيقاظ الهمم وإذكاء روح العزم يكون بأسباب منها:

١ - الاهتمام بإصلاح القلب باجتناب المعاصي: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [(٧٤)] ليتحقق الإيمان والتقوى المحيي للضمير في النفس، وأن العزم والإرادة الماضية جزء من إيمانه ومن لوازم حياته، ليستشعر المؤمن مدى ارتباط مصالح المسلمين بعضهم ببعض ومدى قرب القرابة فيها، فيدفعه إلى طلب حياة العز والسعادة، استعدادا لمواقف الآخرة وما يلاقي فيها الإنسان: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران:١٩٥) ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:٤٧) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ (الزلزلة:٧، ٨).

٢- الاهتمام بالتربية بغرس القيم الشرعية والمفاهيم السليمة النامية لروح العزم وملكة الإقدام، وأهمية التسابق في مجالات الحياة العملية لتحقيق التوازن في الحياة، كمجاهدة النفس على مقاومة شهوات النفس المثبطة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت:٦٩) ومقارعة النفس للتطلع إلى العلى، عن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: (سل) فقلت أسألك مرافقتك في الجنة، قال: (أو غير ذلك) قلت هو ذاك قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود) [٧٥] وبيان وسائل الإصلاح الذاتي، ومنهج التربية الإسلامية في شد العزائم من خلال كلام الله: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٣- ١٣٥) وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢١) ومن خلال كلام النبي ﷺ: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر الأنهار الأربعة والعرش من فوقها فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى) [٧٦] وقال ﷺ: (إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له) [٧٧] وقوله: (أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم) قالوا: ومن أبو ضمضم ؟ قال: (رجل فيمن كان من قبلكم قال: عرضي لمن شتمني) [٧٨] ويقول ﷺ: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) [٧٩] ليدركوا كيفية تربية الأجيال بغرس مبدأ تحريك العزائم واستنهاض الهمم فيهم، مع توضيح خطط الأعداء الموهنة، كما حكى الله عنهم في سورة التوبة التي فضحت مكايدهم وكشفت نواياهم، وبينت مدى عاقبة الوهن والتخاذل الذي يبثونه في صفوف المسلمين، لئلا يخدع مسلمي العصر الحاضر بالتمسك بتلك المعاهدات

التي وضعها الأعداء: (دعاة على أبواب جهنم من أجا م إليها قذفوه فيها) (٨٠) كتحالفا م الإجرامية كالنيتو والفيتو وعدم الانحياز ومعاهدات مجلس الأمن والمعاهدات الدولية المثبطة والعراقيل التي يضعوها لإفساد ا تمعات لا سيما المسلمة: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة:٤٦، ٤٧).

٣- الالتجاء إلى الله تعالى اقتداء بالنبي ﷺ بطلب العون على أمور الـدين والـدنيا، والثبات قُدماً على الصراط المستقيم، والاستعاذة به عما يثبط النفس أو يوهن عزمها أو يثنيها عن مواصلة السير إلى الله: (اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور) (٨١) (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والهرم والجبن والبخل...) (٨٢) وقال لمعاذ ﷺ: (يا معـاذ إني أوصـيك لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) وأوصى بذلك كل سلف من خلفه (٨٣)

٤- عدم مطاوعة النفس في الاستغراق في الملذات والترف، مع مقارعة هواجسها فهي كما قال الله: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ (الإسراء:٨٣) ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (العلق:٦، ٧) لئلا تقعده عن التطلع إلى طلب الكمال، فإن الترف يفسد العزائم ويصد عن الإقدام، ويخلد إلى الراحة وإلى إيثار السلامة، ذكر ابن الجوزي أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام، فرأى عليه معاليق من كل شيء، فقال: يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك ؟، قال: هذه الشهوات التي أصيد ن ابن آدم، قال: فهل لي فيها من شيء ؟، قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر، قال: فهل غير ذلك ؟، قال: لا والله، قال: لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبدا، قال إبليس: ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا (٨٤).

وفي مقابل ذلك تعويد النفس على تحمل المشاق وترويضها على تجاوز الصعوبات لا سيما في ذات الله، ويتضح ذلك من خلال درس نموذجي تطبيقي يعرضه لنا رسول الله ﷺ ليبين لنا كيف تربى الأجيال وكيف يقتَدِي المربون ليقتَدى بهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال: (لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا) [٨٥] فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأنى بهم وسأل الله تعالى لهم الإمهال ليتداركوا أمرهم.

٥- النخوة: العَظَمَة والفَخر وهي من أسباب نماء العزم وقوة الإرادة، وتتنوع النخوة إلى نوعين: نخوة جاهلية وهي مذمومة محرمة في جميع صورها وأشكالها، ونخوة إسلامية لحماية بيضة الإسلام وأعراض المسلمين، وهي محمودة ومطلوبة في جميع الأحوال كما سبق ذكر ذلك في قصة سلمة بن الأكوع ﷺ وقال ﷺ يوم بدر: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) فقال عمير بن الحمام: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال: (نعم) قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قولك بخ بخ) قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: (فإنك من أهلها) [٨٦] ونظر رسول الله ﷺ إلى أبي دجانة يوم أحد وهو مختال في مشيته بين الصفين وقد عصب بعصابة حمراء، فقال: (إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع) [٨٧] وقال ﷺ: (غيرتان إحداهما يحبها الله والأخرى يبغضها الله: الغيرة في الريبة يحبها الله، والغيرة في غير ريبة يبغضها الله، والمخيلة إذا تصدق الرجل يحبها الله، والمخيلة في الكبر يبغضها الله) [٨٨] وقال ﷺ: (من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله

فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة، وإن من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب الله، فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي) [٨٩].

٦- التنافس: مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل، واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره [٩٠]

وقيل: هو التحاسد والتسابق والمغالبة والرغبة في الشيء والانفراد به على وجه المباراة في الكرم: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين ٢٦) أي: وفي ذلك فليترَاغب المتراغبون [٩١]

التنافس نوعان: جائز: وهو التسابق والتنافس في خصال الخير وما ينطبق عليه اسم الخير بأجمعها.

وممنوع: وهو التنافس في طلب حظوظ الدنيا وأشباهها، كمباراة الآخرين فيما خصهم الله تعالى أو ميزهم به عن غيرهم، أو النظر والتطلع إلى ما في يد الآخرين من متع الدنيا، أو التنافس في الأماني الباطلة والآمال الزائفة، وفي جميع الأحوال فهو يشحذ الهمم ويذكي العزائم ويثبت الإرادات، لما طبع البشر على التنافس ومسابقة الأقران سواء في أعمال الخير أو غيرها، لذا كان من منهج القرآن الكريم الناجح، حث البشر على المسابقة والتنافس بإيجاد التفاوت بين الأعمال والتفاضل في الجزاء عليها ليبقى الناس طلبا للفضل في سباق دائم.

ولقد أدرك الأعداء حينما نظروا في تاريخ الأمجاد المشتمل مجدهم وعزهم المكتسب من أسباب إذكاء روح العزم والتطلع إلى المعالي، فعملوا جاهدين على هدم تلك الكرامة والعزة والمجد بوضع العراقيل والمثبطات الخفية في طريق المجد والعز من خلال تلمس مواطن الضعف في المسلمين، ومن تلك العراقيل تشجيع حياة الملذات لدى الناشئة بشتى الألوان، وبتزيين الشهوات وتسهيل طرقها ووسائلها، ومصداق ذلك قوله ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ، قال: (بل أنتم يومئذ

كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن) فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن، قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) (٩٢) إيقانا منهم أن الترف وحياة البزخ إذا تمكنت من الإنسان، أصبحت جزءاً كالروح للجسد والغذاء للبدن، يستحيل الخلاص منها، إلا إذا راغم نفسه وفطم أحاسيسه وضميره فطم الأم صبيها، فبذلوا قصارى جهدهم في توفيرها وترخيصها وعملوا على تحبيبها للنفس محبة وصول الغائب وتطلع العطشان للماء، إضافة إلى زرع البغضاء بين صفوف المسلمين، وهاهي الأمة الإسلامية تجني اليوم ثمار تلك المؤمرات وتدفع الثمن باهظا، ولا زالت الفرصة سانحة إن هي فكرت في تصحيح المسار وركوب الطريق.

المبحث الثالث: تطبيقات خلق العزم على السلف.

يعد خلق العزم في أصله جزء من أجزاء الخلقة الإنسانية منذ النشأة، وهو إما حسي كشحن الطاقة في الجسم بترويضه على إنماء قوته، أو معنوي كإذكاء روح الاندفاع والإقدام وربط الجأش وعقد القلب في إرادته ومشاعره وخواطره، فإذا اجتمعا في شخص كان ذلك من تمام النعمة الربانية ومن حسنات الدنيا المعجلة، وهو كسائر الأخلاق يتفاوت درجات حسب تعامل الإنسان معه، يتنامى ويتزايد بالرعاية والاعتناء، ويضعف أو يندثر بمقتضى النشأة الاجتماعية، غير أنه يمكن تداركه بالممارسة والتدريب العملي بترويض النفس على طلب قوة العزيمة وإزاحة الحواجز المعوقة المثبطة، وبحكم ضعف الإنسان وبما تحفه من نوازع ودوافع، وبحسب ما يمر به من ظروف فإنه مأمور بمراعاة المواقف حقها بما يناسبها من درجة العزم، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة ٢٨٦) ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (الطلاق ٧) إيحاء كريم من الله لاستنهاض الهمة كلما ضعفت وإيقاظ العزم كلما فتر !، أي: يجب أن يبلغ العزم في تحمل التكاليف دون تبرم أو استثقال أو ضيق بقدر المأمورات؛ فإذا ضعف الإنسان أو استثقل العبء، دل على فتور عزيمته، فاستجاش همته وعزيمته ونفض الضعف عن نفسه وهم همة جديدة للمواصلة، ومع كون الإنسان مأمورا بتفقد عزيمته وتجديدها حتى في

أضيق الظروف، غير أن إرادته لا تزال هي التي تحكم توجهه، فهو إما أن يتقدم أو يتأخر بالإرادة كطلب العلم، أو بالضرورة كدفع الضر ورفع الظلم، والرغبة في الشيء، أو الكف عنه هما من كوامن الغريزة وأساس الدافع على مختلف التوجهات رغبة أو رهبة، عن عطاء قال قال لي بن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟، قلت: بلى !، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك) فقالت: أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها [٩٣] وعن ربيعة الأسلمي ﷺ قال: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: (سل) فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: (أو غير ذلك) قلت: هو ذاك قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود) [٩٤]

وقد يتواجد العزم إذا وجد الدافع النفسي إلى ما ينافيه، فإذا ما تعرضت النفس لمثير من المثيرات فإن الاستجابة تكون تبعا للمثير سلبا أو إيجابا، وقد يتواجد العزم دون وجود مثير، فإما ألا يكون في النفس دافع إلى ما ينافي العزم، أو لا يوجد ما يثير الدافع أصلا، كمن حجز نفسه أصلا عن المثيرات لئلا يحتاج إلى العزم إما فطرة كعزم مَن لا أَرَبَ له، أو رياضة كعزم معتزل في صومعة لا يتعرض لأي مثير.

فبالنظر إلى المثيرات التي تحف الإنسان وما يدفعه تجاهها، وإلى مدى ثقل الإيمان، نجد أن كوامن العزم ودوافعه يرجع إلى أسباب، فتارة يكون الدافع هو الغيرة والنخوة والحمية، وتارة الخوف من العواقب، وتارة بمراقبة الله والحياء منه، وتارة يكون بالصبر عن محارم الله أو على أقدار الله، وتارة يكون بالطمع في الثواب والجزاء، وتارة يكون بحب الحق ونحو ذلك، غير أن ذلك يتجلى في المرء ويتميز به بقدر ما يوجد لدى المرء من الإرادة والقدرة، بقدر ما يكون آخذا بحظه من العزم .

المبحث الرابع: أهمية العزم ومظاهره

إنما هذا الصراع بين العزم والفتور، لأن العزم يحرك في النفوس أسمى طرائق التسابق إلى الخير، وتصور الأجر على قدر النصب والقعود على قدر الصعود، فيدفع بالأنفس إلى الازدياد من الأعمال للترقي إلى درجات الكمال، التي تطلع إليها حتى - على ما أوتوا من الخير العظيم - أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم - قالوا: يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: (أفلا أكون عبدا شكورا ؟) [٩٥] ويقال لقارىء القرآن: (اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها) [٩٦] ولا أدل على ذلك من مجتمع عصر النبوة وأصحاب رسول الله ﷺ الذي حقق أعلى مثل في التسابق لوصول ذروة الكمال حتى في طلب الموت ! يا نبي الله: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك [٩٧] وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل، قلت: نعم ما حاجتك إليه يا بن أخي، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه [٩٨]

ومن أمثلة علو الهمم وقوة العزيمة: عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة، فدعانا رسول الله ﷺ للبيعة في أصل الشجرة قال فبايعته أول الناس، ثم بايع وبايع حتى إذا كان في وسط من الناس قال: (بايع يا سلمة) قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، قال: (وأيضا) قال ورآني رسول الله ﷺ عَزِلاً - ليس معي سلاح - قال فأعطاني رسول الله ﷺ حَجَفةً أو دَرَقَة– هما شبيهتان بالترس- ثم بايع، حتى إذا كان في آخر الناس قال: (ألا تبايعني يا سلمة) قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس

وفي أوسط الناس قال: (وأيضا) قال فبايعته الثالثة، ثم قال لي: (يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك) قال قلت: يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلا- لا سلاح معه- فأعطيته إياها، قال فضحك رسول الله ﷺ وقال: (إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي) ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض واصطلحنا، قال وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه وأحسه (٩٩) وأخدمه وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله ﷺ قال فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها فاضطجعت في أصلها، قال فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي يا للمهاجرين قتل ابن زنيم، قال فاخترطت سيفي ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثا في يدي، قال ثم قلت: والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، قال ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له: مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجَفف (١٠٠) في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه، فعفا عنهم وأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (الفتح:٢٤) قال ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلا بيننا وبين بني لحيان جبل وهم المشركون، فاستغفر ﷺ لمن رقى هذا الجبل الليلة، كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه، قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثا، ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة بن عبيد الله أُنديه- يرد الماء قليلا ثم يرعى- مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه، قال فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال ثم

قمت على أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثا: يا صباحاه ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:

أنا بن الأكوع # واليوم يوم الرضع

فألحق رجلا منهم فأصك سهما في رحله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه قال قلت:

خذها وأنا بن الأكوع # واليوم يوم الرضع

قال: فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجع إليّ فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة، قال فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري وخلوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يستخفون، ولا يطرحون شيئا إلا جعلت عليه آراما من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى أتوا متضايقا من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون- يعني يتغدون- وجلست على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى قالوا: لقينا من هذا البرح والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا، قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال فصعد إلي منهم أربعة في الجبل، قال فلما أمكنوني من الكلام قال قلت: هل تعرفوني قالوا لا ومن أنت، قال قلت: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم أنا أظن قال فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، قال فإذا أولهم الأخرَم الأسدي على إثره أبو قتادة وعلى إثره المقداد، قال فأخذت بعنان الأخرَم قال فولوا مدبرين، قلت يا أخرَم احذَرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن قال فعقر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله، فوالذي كرم وجه

محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئا حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له "ذا قرد" ليشربوا منه وهم عطاش، قال فنظروا إليّ أعدو وراءهم فحليتهم عنه- يعني أجليتهم عنه- فما ذاقوا منه قطرة، قال ويخرجون فيشتدون في ثنية، قال فأعدو فألحق رجلا منهم فأصكه بسهم في نغض كتفه قال قلت: خذها وأنا بن الأكوع# واليوم يوم الرضع

قال: يا ثكلته أمه أكوعه بكرة، قال قلت نعم يا عدو نفسه أكوعك بكـرة، قـال وأردَوا- خلفوا- فرسين على ثنية، قال فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ قال ولحقـني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حَلأتهم- طرد تهم- عنه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبـل وكـل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال قلت يا رسول الله خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: (يا سلمة أتراك كنت فاعلا) قلت نعم والـذي أكرمـك فقال: (إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان) قال فجاء رجل من غطفان فقال نحـر لهـم فـلان جزورا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا فقالوا أتاكم القوم فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا قـال رسول الله ﷺ كان خير فرساننا اليوم "أبو قتادة" وخير رجالتنا "سلمة"، قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعا ثم أردفني رسـول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة

قال فبينما نحن نسير قال وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا، قال فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة هل من مسابق فجعل يعيد ذلك، قال فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريما ولا تهاب شريفا، قال: لا إلا أن يكون رسول الله ﷺ قال قلت: يا رسول الله بأبي وأمـي ذرني فلأسابق الرجل قال: (إن شئت) قال قلت: اذهب إليك وثنيت رجلي فطفرت فعدوت قـال

فربطت عليه شرفا أو شرفين أستبقي نفسي، ثم عدوت في إثره فربطت عليه شرفا أو شرفين، ثم إني رفعت حتى ألحقه قال فأصكه بين كتفيه، قال قلت قد سبقت والله، قال أنا أظن قال فسبقته إلى المدينة، قال فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم "مرحب" يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب# شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال: قد علمت خيبر أني عامر# شاكي السلاح بطل مغامر

فقال ﷺ: (من لهذا الخبيث مرحب) فقال محمد بن مسلمة أنا يا رسول الله فقال: (قم إليه اللهم أعنه) فقام محمد، قال جابر: فوالله ما رأيت حربا بين رجلين شهدته مثلهما، قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه، قال فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله بطل عمل عامر؟، قال ﷺ: (من قال ذلك) قال قلت ناس من أصحابك قال: (كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين) ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال: (لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله لا يولي الدبر) فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب# شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي: أنا الذي سمتني أمي حيدره# كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه (١٠١)

ومن أمثلة علو الهمم وقوة العزيمة: ما جرى لأم سليم حين اتخذت خنجرا، فقال لها رسول الله ﷺ: (ما هذا الخنجر ؟) قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك قالت: يا رسول الله ! اقْتلْ مَن بَعدَنَا من الطلقاء انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: (يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن) (١٠٢) وعن عبد الله ﷺ قال: أخبر رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فقلت له قد قلته بأبي أنت وأمي، قال: (فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر) قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: (فصم يوما وأفطر يومين) قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: (فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام) فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك (١٠٣) وقوله ﷺ: (من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله) فقال محمد بن مسلمة يا رسول الله أتحب أن أقتله قال نعم) فقتله (١٠٤)

وكم في التاريخ من أمثلة وصور حية كادت تصل حد الخيال، فأين في مسلمي اليوم أمثال هؤلاء أو دون ذلك ؟، وهنا يصدق قوله ﷺ: (بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن) فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن، قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) وقال ﷺ: (يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مَسَالحهم سَلاح) (١٠٥)

وحين تختل موازين الحياة ويستحوذ التخلف على النفوس، ويعدم الإنسان العزم ويحتل مكانه الفتور، ويفقد فضل التسابق للمنازل العالية، ويبقى الأمر والنهي والإقدام والإحجام منقادا لهوى النفس والمصالح، فيصاب المجتمع بالفتور والتأخر والتبعية، ويقنع نفسه بالكفاف وبالعفافة، ويستسلم لحياة الذل والضياع، فيكتب في قائمة المتأخرين ويوسم بسمة المضيعين المتبوعين في مؤخرة الركب، ولا أدل على ذلك من الأمة الإسلامية الحاضرة، حين ركلت في وجه العزم وهو أصل عزها، واستغربت وجوده فدفعته وهو سبب مجدها وجدها،

وآثرت حياة الذل والهوان على حياة العز والكرامة باسم السلامة من الغوائل، وخدعت نفسها بالكسل ورضيت بالتبعية، بينما هي في الوقت نفسه تستبق إلى اللذائذ حتى سبقت أمم الشهوات في الانهماك في الشهوات والانغماس في لذائذ الدنيا، وغرقت كالأمم المضيعة في شهواتها إلى أبعد الحدود، وانطلقت وراء أهواء النفس الجامحة دون رقيب أو وازع، فكان ذلك مَدعاة لمفاسد كثيرة تأباها الإنسانية فضلا عن الإسلام، وانعكست آثارها على العالم بالشر المستطير (١٠٦)

المبحث الخامس: آثار العزم وفوائده

إنّ حياة العز والكرامة مرهونة بكفاح ومغالبة، وإنّ أصحاب الهمم والعزائم الصادقة لا يماثلون الكسالى ولا يرضون بمساكنة الأراذل، لإيقانهم أنّ مجرد الغذاء والملبس والمسكن مهما رق وبرق لا يسمى حياة، إنما الحياة قيادة وريادة، نفع ودفع، حول وطول، أمر ونهي، سلطان ونفوذ، صلاح وإصلاح، إجلال وتبجيل، بل حين تمتطي النفس العزم فيهون عليها ملمات الزمان وترخص في نظرها نفائس الدنيا، ومن طلب العلى سهر الليالي، عن عطاء قال قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟، قلت: بلى !، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك) فقالت: أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها (١٠٧) ولا يعرف قيمة حياة العز إلا من ذاق مرارة الذل، ولم يتذوق طعم العزم إلا من عاشر المجتمعات الراكدة التي – بسبب غرقها في الملذات- فقدت حياة العز والكرامة فغدت كالمشلولة، ولقد ضرب الله لنا مثلا عظيما في قوة العزم في مواصلة السير دون التفات إلى النتائج بأبينا نوح عليه السلام حيث قال عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ (العنكبوت:١٤)

فكم قتل الفتور آمال الأمة، وكم وأد التقاعس والمثبطات من كنوز الأمة، وكم قامت الثورات الدموية من أولي العزم على أولي النَعمَة [١٠٨] وكم خيم الفقر بِذُلّه بسبب غفلة أفراد المجتمع عن إشعال العزائم، ولو لم تجتني الأمة من عزائم الأمور سوى أنها تكفى غضب الله ونقمته لكفى، وإن مما يجتنى من ثمرات العزم:

أ- تسابق أفراد المجتمع في ميادين الخدمة، إنماءً لروح التنافس لحفظ الأمن والأعراض والحقوق للارتقاء إلى سماء الفضيلة، وقاية عن الوصول إلى حضيض الفشل، لاكتساب الشكر والشرف في الدارين: ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون:٦١)

ب- تعويد النفس على ملاقاة الشدائد وتوطينها على تحملها من أجل تأسيس حياة السيادة والسعادة والقيادة والريادة، وهذا من أعظم ثمرات العزم، قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (لقمان:١٧)

ج- تنمية روح الثقة بالنفس وتوطينها على ما يعقد عليه القلب وعلى المضي قُدما فيما يبرم من الأمور ويحكم من الأحكام.

د- العز والسؤدد في الدنيا بتطهير النفس وإكمالها، والفوز بثناء الله وبالجنات والنعيم المقيم في الآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧)

خاتمـــــــة:

من خلال عرضنا لموضوع: (العزم في القرآن الكريم) يتضح لنا الآتي:

١- العزم هو الإرادة المؤكدة بعقد القلب وتوطين النفس على الفعل والتصميم عليه والمضي على المعتقد، وينتج عنه الجد والانتظام في القيام بما فرض الله.

٢- العزم خصلة مهمة في الحياة، فهي تضاعف من قوة المرء وتكسبه النجـاح في الـدارين، فيجب تعويد النفس على إذكاء روح العزم، ومجانبتها عما يوهنها أو يضعف عزمها.

٣- العزم دليل الشجاعة والمروءة وحسن الظن ومتانة الدين، وصدق التوكل واليقين.

٤- مما يذكي روح العزم الاهتمام بإصلاح القلب والاهتمام بالتربية بالتسابق والتنـافس في مجالات الحياة العملية، وعدم مطاوعة النفس في مطالبها المردية.

٥- من أهم مثبطات العزم أو ضعفه، عدم الإيقان بيوم الدين، أو مخالطة أهل النفاق الـذي ينتج عنه قصر النظر وإيثار الترف، أو تشويه صور القيم والثوابت التي تتطلب العـزم، والمؤامرات التي تقتل في الأفراد روح العزم.

٦- من أهم مجالات العزيمة ما كان ضد أهواء النفس وميلها وشهواتها ووساوسـها، وضـد وساوس شياطين الإنس والجن.

٧- العزيمة المقرونة بالعلم والعقل والحكمة من أرفى الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المؤمن.

٨- الإيمان بالله والصبر على طاعته والتدريب العملي على مقاومة أهواء النفس، والأنـاة في بت الأمور من أهم الوسائل المعينة على تقوية العزيمة.

٩- من أهم مظاهر العزم الجد والنظام والصدق في الأعمال وكبح جمـاح الهـوى، وتلقـي الأحداث بالصبر وصرف النفس عن التشاؤم، والمبادرة إلى فعل الخيرات والتفاؤل

هذا وقد صدق الإمام مسلم ﷺ حين قال: (لا يستطاع العلم براحة الجـسم) (١٠٩)

فقد بذلت ما استطعت في إعداد البحث القيم وفي جمعه، ولا أدعي العـصمة والكمـال، ولا

عدمت أخا كريما نصوحا ستر الزلة وأسدى النصيحة، وأسأل الله العفو والنفع والمثوبـة، وأن يجعله في ميزان حسنات والدي إنه سميع قريب مجيب الدعوات وصلى الله وسلم وبارك علـى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحواشي والتعليقات

(١) صحيح مسلم جـ ٢٠٥٢/٤.

(٢) صحيح مسلم جـ ١/ ٧٤.

(٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن (٦٣٦) معجم مقاييس اللغة جـ ٣٥٥/٢، البرهان في علوم القرآن جـ ١٤٧/٢، روح المعاني جـ ٤/١، ٥، ١٦/٧.

(٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن(٤١٢) معجم مقاييس اللغة جـ ٣٥٥/٢، البرهان في علوم القرآن جـ ١٤٧/٢.

(٥) لأن الإنسان جهده الاجتهاد في بيان المعنى الذي ظهر له من الآية حسب فهمه، أما الوصول إلى كل المعاني الحقيقية فالله أعلم بحقيقتها. مناهل العرفان جـ ٤٧١/١، وانظر روح المعاني جـ ٤/١، ٥.

(٦) الحمض: نبات تستحليه الإبل وهي بمـ لة الفاكهة لها الصحاح جـ ١٠٧٢/٣، وانظر معجم مقاييس اللغة جـ ٦٣٥/٢، وتفسير ابن كـثير جـ ١٨٠/٣.

(٧) الصحاح جـ ١٢٩٩/٣، تاج العروس شرح القاموس جـ ٥٤٣/٥، والمدخل إلى التفسير الموضوعي (١٩، ٢٠، ٢٣) مباحث في التفسير الموضوعي (١٥).

(٨) مباحث في التفسير الموضوعي ص (١٦).

(٩) كالتدخين يندرج حكما تحت الخبائث قال تعالى: {ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث} الأعراف (١٥٧).

(١٠) المدخل إلى التفسير الموضوعي ص (٢٠)، مباحث في التفسير الموضوعي ص (١٦).

(١١) انظر البرهان في علوم القرآن جـ ٢٨/٢، ٢٩، المدخل إلى التفسير الموضوعي (١٠٩، ١٣٦، ٢٢٠).

(١٢) انظر المدخل إلى التفسير الموضوعي (٥٦) ومباحث في التفسير الموضوعي (٣٧) التفسير الموضوعي للدكتور: محمد أحمد القاسم ص (٢٣، ٢٤)، والفتوحات الربانية لأبي فرحة ص (٨، ٩).

(١٣) صحيح مسلم جـ ٧٧٩/٢.

(١٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ ٢٦٠/٢، وانظر موسوعة أخلاق القرآن جـ ١١/٤.

(١٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٦٥).

(١٦) صحيح مسلم جـ ٢٠٦٣/٤، التعريفات للجرجاني (١٣٠) فتح القدير للشوكاني جـ ٣٨٩/٣.

(١٧) الأخلاق الإسلامية وأسسها للحبنكة الميداني جـ ١١٣/١-١١٥، و انظر التعريفات للجرجاني (١٣٠).

(١٨) معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ ٢٩٠/١، التعريفات للجرجاني (٧٦)

(١٩) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٨٤٥).

(٢٠) التعريفات للجرجاني (٢٢٩)

(٢١) التعريفات للجرجاني (٢٢٩) اللسان (هـ م م).

(٢٢) اللسان مادة (رود).

(٢٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٣٧١)

(٢٤) التعريفات للجرجاني (١٠)

(٢٥) انظر الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ١١٨-١٢١.

(٢٦). مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٨٤).

(٢٧). أحكام القرآن لابن العربي جـ ١٧٧/١.

(٢٨). صحيح البخاري جـ ١٢٠/٤، صحيح مسلم جـ ٧٦٣/٢، ٧٦٤.

(٢٩) فإذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته مدة، فلا يخلو إما أن يكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها، وهل يمضي في إيلائه أكثر من أربعة أشهر أم يوقف، وهل هي ترجع بمجرد مضي المدة أم يراجعها زوجها، وهل هي ترجع بمجرد الجماع أم بالقول، وإذا لم يراجعها هل تطلق الزوجة أو تطالب، وهل تطلق طلقة رجعية أم هي بائنة، وهل عليها العدة أم يكفي محيضها أثناء الإيلاء ثلاثة حيض، وهل عليه الكفارة، انظر تفسير ابن كثير جـ ٢٦٩/١، وانظر الأحكام المتعلقة بالإيلاء في كتب الفقه، كالمغني لابن قدامة جـ٥٠٢/٨، المجموع شرح المهذب للنووي جـ٢٨٨/١٧.المكتبة السلفية.

(٣٠) فإن النهي عن العزم على النكاح في العدة أبلغ، لأن العزم على الفعل يتقدمه، فإذا نهى عن العزم كان النهي عن الفعل أولى، فلم يقل: ولا تعقدوا النكاح إنما قال: {وَلاَ تَعزموا عقْدَةَ النكاح} زيادة في التحرج كقوله تعالى: {تلْكَ حدود الله فَلا تَقْرَبوهَا} (البقرة:١٨٧) ومعناه: ولا تعزموا عَقْدَ عقْدة النكاح، أو معناه: ولا تقطعوا عقدة النكاح، والعزم: القطع، انظر أحكام القرآن لابن العربي جـ ٢١٣/١.

(٣١) النساء في حكم الخطبة أقسام منها: ما يجوز خطبتها تعريضاً وتصريحاً وهي التي ليست في عدة ولا في عصمة أحد، ومنها: ما لا يجوز خطبتها لا تصريحاً ولا تعريضاً وهي التي في عصمة الزوجية، ومنها: ما يجوز خطبتها تعريضاً لا تصريحاً وهي المعتدة في الوفاة، والمعتدة البائن. انظر أحكام القرآن للجصاص جـ ٥٠٤/١، أحكام ابن العربي جـ ٢١٣/١، أحكام لقرطبي جـ ١٩٤/١.

(٣٢) مفردات ألفاظ القرآن (٤٧٠).

(٣٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٨٨٢).

(٣٤) كانت معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة. انظر سيرة ابن هشام جـ ٦٣/٢.

(٣٥) رأى نبي الله ﷺ في المنام أن بقرا تنحر وتباع فتأولها فتلا في أصحابه، ورأى في ذباب سيفه ثلما وأن سيفه ذا الفقار انفصم فكان قتل عمه حمزة، ورأى أنه أدخل يده في درع حصينة فتأولها المدينة انظر: تفسير الطبري جـ ١٦٥/٤، صحيح البخاري جـ ٤٢١/١٢.

(٣٦) انظر في ظلال القرآن جـ ٥٠١/١-٥٠٣.

(٣٧)صحيح مسلم جـ ١٤٢٠/٣.

(٣٨)سيرة ابن هشام جـ ٥٠/٢.

(٣٩)صحيح مسلم جـ ٢٢١٥/٤.

(٤٠)المستدرك على الصحيحين جـ ٤٧٦/٤.

(٤١)سيرة ابن هشام جـ ٢٤٠/١.

(٤٢) انظر تفسير الطبري جـ ٣٧/٢٦، تفسير ابن كثير جـ ١٧٣/٤.

(٤٣).صحيح البخاري جـ ٤٤/٢.

(٤٤) انظر في ظلال القرآن جـ ٣١٦٠/٤-٣١٦١، ٣١٦٧، ٣١٦٨.

(٤٥).الزهد لابن المبارك جـ ٤٣٥/١، الأحاديث المختارة جـ ١٢٢/٣.

(٤٦).مفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٤٥).

(٤٧) صحيح البخاري جـ ٢٣٠/٨، صحيح مسلم جـ ١٤٢٢/٣.

(٤٨) انظر في ظلال القرآن جـ ٥٣٩/١-٥٤١.

(٤٩) انظر تفسير الكشاف للزمخشري ١٠٢١، في ظلال القرآن جـ ٣٢٩٦/٦، ٣٢٩٧، تفسير ابن سعدي ص (٧٣٢، ٧٣٣)،

(٥٠) صحيح البخاري جـ ٣٢٠/١١، صحيح مسلم جـ ٢١٧٤/٤.

(٥١).انظر المنهاج شرح مسلم للنووي جـ ٦٨٧/٥، تلبيس إبليس (٢٥).

(٥٢) المعجم الكبير جـ ١٥٦/٢٢، الشمائل المحمدية للترمذي جـ ١٨٤/١، مجمع الزوائد جـ ٢٧٦/٨.

(٥٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٨١٩).

(٥٤) صحيح مسلم جـ ١٥١٧/٣.

(٥٥) سنن الترمذي وقال: حديث حسن غريب جـ٣٩٥/٧، المستدرك على الصحيحين وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد جـ٧١٠/١، وانظر تفسير ابن كثير جـ٢٠٣/٢.

(٥٦) صحيح البخاري جـ٤٤٥/١٠.ومسلم جـ٦٩/١.

(٥٧) صحيح مسلم جـ٦٨/١.

(٥٨) صحيح مسلم جـ٣٥٣/١.

(٥٩) صحيح البخاري جـ١١٤/١٠، صحيح مسلم جـ١٩٩٤/٤.

(٦٠) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٦٦).

(٦١) صحيح مسلم جـ٢١٩/١.

(٦٢) مسند أحمد جـ٢٤٣/٥.

(٦٣) صحيح البخاري جـ١٦٤/٧.

(٦٤) صحيح البخاري جـ١٤٢/٣، المستدرك على الصحيحين جـ٢٢١/٣.

(٦٥) قال ابن حجر: هو باعتبار رؤية الهلال أول الشهر، ثم رؤيته ثانيا في أول الشهر الثاني، ثم رؤيته ثالثا في أول الشهر الثالث فالمدة ستون يوما والمرئي ثلاثة أهلة. فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١٩٨/٥.

(٦٦) صحيح البخاري جـ١٩٧/٥، صحيح مسلم جـ٢٢٨٣/٤.

(٦٧) المستدرك على الصحيحين جـ٢٠٩/٤.

(٦٨) صحيح مسلم جـ١٦٠٩/٣.

(٦٩) صحيح مسلم جـ١٦١/٣.

(٧٠) صحيح البخاري جـ٢٠٩/٣، صحيح مسلم جـ١٤٩٥/٤، وانظر مجمع الزوائد جـ٢٧/٩، فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١٣٧/٨.

(٧١) صحيح البخاري جـ٥٥/٥، صحيح مسلم جـ٦٨٧/٢.

(٧٢) انظر المعجم الكبير جـ٦٠/٣، مجمع الزوائد جـ٢٨/٩- ٣٠.

(٧٣) المستدرك للحاكم وقال: صحيح الإسناد جـ٣٢٧/٣، وانظر السنن الكبرى للبيهقي جـ٤٩/٨

(٧٤)صحيح البخاري جـ١٢٦/١، صحيح مسلم جـ١٢١٩/٣.

(٧٥) صحيح مسلم جـ٣٥٣/١.

(٧٦).الأحاديث المختارة وقال: إسناده صحيح جـ٣٢٧/٨.

(٧٧) صحيح البخاري جـ١٤٠/١١، صحيح مسلم جـ٢٠٦٣/٤.

(٧٨) سنن أبي داود جـ٢٧٢/٤، حكم الألباني عليه بالإرسال وضعفه. ضعيف السنن (٤٨٢) وليس كل مرسل ضعيف، وبحسب رأي المحدثين يصلح للعمل في فضائل الأعمال.

(٧٩) صحيح مسلم جـ١٥١٠/٣.

(٨٠)صحيح البخاري جـ٣٥/١٣، صحيح مسلم جـ١٤٧٥/٣.

(٨١) سنن الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، ومعنى: (الحور بعد الكور) هو الرجوع إلى الشر كالرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية جـ٤٩٧/٥، صحيح ابن خزيمة جـ١٣٨/٤.

(٨٢) صحيح البخاري جـ٣٦/٦، صحيح مسلم جـ٢٠٧٩/٤، تفسير ابن كثير جـ٥١٧/٤.

(٨٣) سنن أبي داود جـ٨٦/٢، صحيح ابن خزيمة جـ٣٦٩/١.

(٨٤) تلبيس إبليس (٢٥).

(٨٥) صحيح البخاري جـ٣١٢/٦، صحيح مسلم جـ١٤٢٠/٣، وانظر تفسير ابن كثير جـ١٣٨/٢

(٨٦) صحيح مسلم جـ١٥١٠/٣.

(٨٧) المعجم الكبير للطبراني جـ١٠٤/٧.

(٨٨) صحيح ابن خزيمة جـ١١٣/٤، قال الأعظمي: فيه ضعف، في نظري يصلح للعمل في مثل هذا المقام.

(٨٩) سنن أبي داود جـ٣/٥٠، وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ٢٠/٢٠٥.

(٩٠) مفردات غريب القرآن للراغب (٨١٨).

(٩١) انظر اللسان مادة (نفس).

(٩٢) سنن أبي داود جـ٤/١١١، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع (٨١٨٣).

(٩٣) صحيح البخاري جـ١٠/١١٤، صحيح مسلم جـ٤/١٩٩٤، انظر الأخـلاق الإسـلامية وأسسها جـ٢/١٢٧، ١٢٨،١٥٠.

(٩٤) صحيح مسلم جـ١/٣٥٣.

(٩٥) صحيح البخاري جـ٣/١٤، صحيح مسلم جـ٤/٢١٧١.

(٩٦) سنن أبي داود جـ٢/٧٣، والترمذي جـ٨/٢٣٢، وانظر تفسير ابن كثير جـ٤/٤٣٥.

(٩٧) صحيح البخاري جـ٧/٣٦٢، صحيح مسلم جـ٣/١٤٤٣

(٩٨) صحيح البخاري جـ٦/٢٤٦، صحيح مسلم جـ٣/١٣٧٢.

(٩٩) أي: أحك ظهر الفرس لأزيل عنه الغبار. لسان العرب مادة (ح س س).

(١٠٠) أي عليه ثوب كالجلّ يلبسه الفرس ليقيه السلاح. لسان العرب مادة (ج ف ف)

(١٠١) صحيح مسلم جـ٣/١٤٣٣.

(١٠٢) صحيح مسلم جـ٣/١٤٤٢.

(١٠٣) صحيح البخاري جـ٤/٢٢٢، صحيح مسلم جـ٢/٨١٢.

(١٠٤) صحيح البخاري جـ٥/١٤٣، صحيح مسلم جـ٣/١٤٢٥.

(١٠٥) سنن أبي داود جـ٤/١١١، المَسلَحة: الذين يسكنون الثغور ليحفَظُون الثغور من العـدو النهاية جـ٢/٣٨٨.

(١٠٦) انظر كتاب: ماذا خسر العام بانحطاط المسلمين للعلامة الندوي.

(١٠٧) صحيح البخاري جـ١٠/١١٤، صحيح مسلم جـ٤/١٩٩٤.

(١٠٨) كقيام الدولة الأموية والدولة العباسية والدولة العثمانية ثم انهيارها ونحو ذلك.

(١٠٩) صحيح مسلم جـ ٤٢٨/١.

المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأحاديث المختارة للضياء المقدسي تحقيق الدكتور: عبد الملك بن دهيش.

٣- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق محمد علي بجاوي دار المعرفة.

٤- الأخلاق الإسلامية وأسسها عبد الرحمن الميداني دار القلم دمشق ط ٣، ١٤١٣هـ

٥- الترجمان و الدليل لآيات التنـزيل المختار أحمد الشنقيطي دار روضة الصغير الرياض

٦- التعريفات للسيد على بن محمد الجرجاني الحنفي ، ط مصطفى الحلبي ١٣٥٧ هـ

٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير نسخة مصححة على نسخة دار الكتب المصرية دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٨هـ .

٨- تلبيس إبليس لأبي الفرج ابن الجوزي المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز

٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن سعدي ط ٥ ١٤١٧ هـ مؤسسة الرسالة.

١٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي وزارة الثقافة نشر دار الكاتب العربي القاهرة ١٣٨٧ هـ

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ط ٢ /١٣٧٣ هـ مصطفى البابي

١٢- الزهد لعبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق أحمد فريد، ط١٤١٥/١ هـ دار المعراج.

١٣- سنن أبي داود مراجعة وضبط محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر

١٤- سنن ابن ماجه تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.

١٥- سنن الترمذي ط٣ ١٣٩٩ هـ دار الفكر عبد الوهاب عبد اللطيف.

١٦- السيرة النبوية أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ضبط طه عبد الرءوف نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

١٧- شعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين تحقيق د- عبد العلي حامد ط ١ ١٤٠٦ هـ ـ الدار السلفية الهند.

١٨- الشمائل المحمدية للترمذي تحقيق سيد عباس ط١٤١٢/١ هـ مؤسسة الكتب.

١٩- صحيح البخاري لأبي عبد الله البخاري ضبط محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر.

٢٠- صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الأرنوءط ط١٤٢٨/٣ هـ مؤسسة الرسالة.

٢١- صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد ط ٢، ١٣٩٥ هـ تحقيق محمد الأعظمي دار الثقة.

٢٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث .

٢٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين أبو محمد محمود العيني إدارة الطباعة المنيرية ناشر محمد أمين دمج بيروت.

٢٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر المكتبة السلفية دار الفكر.

٢٥- فتح القدير محمد بن علي الشوكاني دار الفكر ط ٣ / ١٣٩٣ هـ.

٢٦- الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، دار الآفاق الحديثة بيروت ط٤/١٤٠٠ هـ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي.

٢٧- في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق / ط١٦ - ١٤١٠ هـ.

٢٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لجار الله الزمخشري ط ١ ١٤١٥ هـ ترتيب محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية بيروت.

٢٩- لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت.

٣٠- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة الندوي

٣١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي نور الدين على نشر مؤسسة المعارف ١٤٠٦.

٣٢- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم ط ١ ١٤١١ دار الكتب العلمية تحقيق مصطفى عبد القادر عطا

٣٣- مسند أحمد ترتيب رياض عبد الهادي ط ٢ ١٤١٤ هـ دار أحياء التراث العربي.
٣٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي
٣٥- المعجم الكبير للطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، ط ٢ ١٤٠٤ هـ تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم.
٣٦- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد ابن فارس ط ١، ١٤٢٠ هـ دار الكتب العلمية توزيع الباز، ودار الجيل بيروت.
٣٧- المعجم الوسيط د- إبراهيم أنيس ورفاقه.
٣٨- مفردات ألفاظ القرآن للراغب تحقيق صفوان داودي ط ٢ ١٤١٨ هـ دار القلم دمشق
٣٩- المنهاج بشرح صحيح مسلم للنووي تحقيق عبد الله أحمد أبو زينه دار الشعب.
٤٠- موسوعة أخلاق القرآن أحمد الشرباصي دار الرائد العربي بيروت ط١، ١٤٠١هـ